سيّلفي مع جُثّة!

سيّلفي مع جُثّة!
رواية
حسام كصاي
تصميم الغلاف:
تدقيق لغوي: خالد رحب عواد
رقم الإيداع:2874 /
-I.S.B.N: 978-977-488-

دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،
المرج الغربية، القاهرة.
المدير العام: يحيى هاشم
هاتف: 01144552557 – 01147633268
E – mail:daroktob1@yahoo.com
Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2016م
جميع الحقوق محفوظة©
دار اكتب للنشر والتوزيع

سيلفي مع جُثّة!

حسام كصاي

رواية

دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء ...

إلى المسافرين لمتنزّهات السماء عن طريق شركات أبي جهّل للسياحة والسفر!

إلى الذين وافاهم الأجل تحت خيارات الحديد والنار؛ وهم ما زالوا على قيد الأنقاض!

إلى الطفولة ومُقتبل الأعمار الذين قُبض عليهم وهم مُتلبسين بتُهّم البراءة ودُميّهم وعاجياتهم الصغيرة!

(لكل قطرة دمٍ شهيدة سالت على ثرى عواصم العرب .. بغداد في القلب .. وللكرادة وقعٌ في نصيب الهدايا!)

.... أهدي هذه المناحة لكل ضمير مُستتر بالدين لعلهُ يصحو من غفوة فتاواه المُلطخة بالدم والبارود .....

(1)

مُمْتَلَكاتُ السَّماءِ تَتَعَرّضُ للنَّهْبِ والسَّرِقَةِ

في الساعة الثامنة وبضعٍ من الدقائق والثواني بتوقيت رزنامة جنرالات الحرب وأمراء "الويسكي الحلال" من مساء يوم الأحد المصادف **2016/7/3** قرر الموتُ أنْ يحلَّ ضيفًا علينا، وأنْ يُحيي حفلات التأبين على قاعات مناسبات مُخصصة للرّقص الشرقي والرّدح العربي!

فهو بحاجةٍ للصّخَب والجنْس والرّقص والفودكا وكل عناوين المُنكر، لعل الموت هنا في بلادي دعوة مجانية لزيارة السماء، أو رحلة سياحة بين القبور لتفقد أحوال معيشة الموتى وواقع الخدمات هناك ودور المؤسسة الدينية في تهيئة المناخ الرحب لهم من تقاعسها؛ وللتعرّف إلى الأحبة الذين غادرونا مُبكرًا!

لقد اشتقنا إليهم كثيرًا، فارقونا خُلسةً؛ فجأة، حتى دون أنْ يتركوا لنا رسالة نَصيَّة من ورق لفائف السجائر؛ أو هدية رمزية نتذكرهم؛ نحمل عليكم الكثير من العَتَب، كيف تغادروننا خُلسةً بغير

موعد، إنَّ الرّحيل بلا موعد قتلٌ بطريقة أكثر حنينًا! ماذا يفعل العاشق لطفولتهِ، غير تقليب دفتر الذكريات بأنامل عزفٍ موسيقي صاخِب!

سنسامح ونصافح؛ أنتم أغلى ما لدينا؛ اتركوا العَتَبَ وحدثونا عنكم.. لقد اشتقنا إليكم كثيرًا، طمئنونا عنكم، وعن معيشتكم، عن مشاكلكم، هل ما زلتم مُتخاصمْين على قضايا طائفية!

الموت دعوةٌ مجانية للسفر إلى المجهول، الجنة أو النار، لسنا من نُقرر، وإنما أعمالنا والنيات!

التأشيرات والتذاكر محدودة والبيع "سوق سوداء" وأسعار تجارية، لعل الكثيرين منا يتمنون الموت؛ لينقذوا كرامتهم من الحياة هنا!

الموت هنا نجادة إنقاذ من الغرق في بحيرة الحيض والنفاس العربي؛ عالم مُذل، الحياة بائسة هنا مُتعبةٍ ومُملة لا تمرُّ دون عقابٍ!

إذ تَمُرُّ قُرابةُ أكثر من ستة عشر قُرنًا من الزمن على انتشار الإسلام بالأخلاق، فيما نقف اليوم نعتصر دماءنا ألًما وندفعها ضحية لمن يدَّعون أنهم وكلاء الله لشؤون الخِلافة!

لمن يدعون إنهم وكلاء السماء، فيحملون إلينا وكالات خاصة بحق التصرُّف بممتلكات كرامتنا!

الإسلام يتعرّض لهجومٍ انتحاري، استهدف مراكزهُ الحيوية ومناطق تجمع المُسلمين؛ مسجد، مدرسة، مُستشفى، جامعة؛ والمُخجل أني أخجل أنْ أقول لكم إنَّ المُنفِّذ مُسلم من بني جلدتنا!

ما زلنا نحيا بفتوى دينية، ونموت بأخرى مغايرة لها! من ينقذنا من هذا النفق المؤثَّث بالظلام، إذا اخُتصر القُرآن بثمة من آيات السيف؛ وصار الجهاد ضد أنفسنا واجبًا دينيًّا وأخلاقيًّا مُقدّسًا!

إنَّ الصلاة التي لا تَنْهى عن الفحشاء والمُنكر؛ ليست بصلاة، بل هي مُجرد تمرين رياضي!

***

- "أبو جاروبه" - الرجل الغماض المُلثم - (يتلقى مكالمة مجانيةً مدفوع الثمن من شخص يبدو صوتًا غير مرئي، مسموعًا ومهموسًا لكنه غير ملموس):

- مرحى؟

- من معي؟

- لا يهم؛ المهم أننا على موعد مع الجنة؟

- وأين هذه المرة؟

عرف الرجل المُلثم من المتكلم، ليس بشخصه وإنما بالجماعة التي ينتمي لها، وفهم اللُغز، الجنة يعني القيام بعملية انتحارية، رحلة للذهاب إلى الجنة ...

سنحدد المكان لاحقًا، المهم تدبَّر الأمر، وهيئ كل شيء، وأنا بدوري سوف أُدبِّر أمر الحواري، سأحرص على أنْ تكون من أجمل الجميلات، وأروعهن أناقة وجمالًا، فالموعد هذه المرة يجب أنْ يكون غامرًا وكبيرًا ومدويًّا، يستحق المشاهدة والمتابعة، أريدُ درسًا للإنسانية لا تنساه!

- حسنًا كما تريد!

بات أقسى درسًا للإنسانية أنْ تتلقاه هو عقابها بقتلها، بالتمثيل في جُثتها، بإيقاد محارق الأشلاء بورق المصاحف؛ وزيت الويسكي!

***

يا حضرة جنود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لماذا تنهون عن المعروف وتأمرون بالمنكر؛ هل هذا خطأ مطبعي، أم خطأ أخلاقي، أخشى أن يكون ذلك!

حتى اللحظة ما زالت مُكبرّات صوت المآذن والمنابر والمحارب تعول وتُصدّح لمهنة دفن الموتى وتشييع جُثمانهم ومواراتها؛ ما عادت مساجدنا للصلاة!

هي أقرب لمستودّع أسلحة أو براد جُثث؛ هي أقرب لمساجد ضرار؛ لم تعد وظيفتها الصلاة والعبادة والتهجُّد والنوافل والرواتب؛ لربما صارت دائرة حكومية قائمة على المخصصات والمناصب والرواتب!

أخشى ما أخشى أنْ تخضع المساجد لمنطق الرشوة والفساد!

***

ما زال العقل المُلتحي لا يميز بين صلاة الرواتب، واستلام الرواتب!

قِمَّة الجهل المُقدّس أنْ تتحول الصلاة إلى وظيفة حكومية وعمل من أجل سَدِّ رمق العيش، لا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم؛ لا تشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، بفضل تقنية الإرهاب أصبحت صلاتنا مشروع مقاولة بدّلًا من أنْ تكون مشروع عبادة!

لم تعد فروض الصلاة قائمة على أتم حالها؛ في مُنتصف الآذان يَقطعُ اللَّحنَ السَّماويَّ صرخةٌ مُغتصبة، أو عويلُ أُمٍّ ثكلى، أو غُثاء أرملة نائحة، ما داعي الصلاة إذا كُنا نُقتل تحت عنوانها!

هذه المرة لم تكن ككل مرة، لم يسع مكبرات صوت المساجد أنْ تسعف الموتى أو تُغيث الأحياء لتُبلغهم خبر الفاجعة؛ هذه المرّة كانت مُكبرات الصوت مبحوحة نبرتها، مشروخة أسطوانتها، قد مل الناس

التأبين والتشييع و"المواراة" والدفن، نحن أمةٌ تريد أنْ تحيا، وغيرنا يُريدنا أنْ نموت من أجل إحياء الظلام!

فالصيام هذا العام (2016) مُنهك ومُتعب، والطقس مَحْرقةٌ نازية - ضد مسلمين بريء -، مبرمجة توزع قسوتها بجدارة؛ أثقلت كاهل حتى مُكبرات الصوت.

أعتقد بضرورة تغيير بعض العبارات الملتبسة والشائهة، فمصطلح مكبرات الصوت بدأ يعطي دلالات غير مستـــأنسة في واقعنا، أو ديناصورات ميتة، أرشح أنْ نستبدل "مكبرات الموت"، بدلًا عن "مكبرات الصوت"، فهي لا تجد غير وظيفة النعي والتأبين والتشييع والدفن والقراءات على جُثث الموتى!

الحدث غامرٌ ومُفجع، القاتل الجلاد يُمسك على فاحشته يعانقها برغبةٍ، وعلى نَخبٍ من الفودكا يُفطر عليها، ومائدةٍ من اللحوم البشرية المفرومة بخلاط جُثث، مائدة طويلة وسُفرة إطعام شهية يقدم عليها ذلك الانتحاري؛ كمقبلات أكل لوجبة عشاء مع أحد الأنبياء، الذين بانتظاره!

***

لقد استغلَّ المُجرم انشغال مُكبرات الصوت بتلاوة أذكار من السُّنة النبوية وتجاويد من القرآن وبعض التهليل والتمجيد والأدعية، فنحن الآن في آخر العشر الأواخر من رمضان التي يكثر فيها التهّليل،

والأدعية والقرّابين، هي كدفتر يجمع حصيلة ما زرعنا في هذا الشهر الفضيل، فيها تُرفع الأعمال، وما قدمناه من صوم وصلاة وزكاة وعبادة، فحاول الانتحاري أو سائق الشاحنة - كما جاء في مصدر حكومي وأمني مسؤول رفيع المستوى - مغافلة الناس، قتلهم في وقت انشغال القارئ بتلاوته، لم تعد هناك حُرمة لتلاوة القرآن، صوت القنابل يعلو على صوت المآذن، والانفجارات على صوت القرآن، وصوت النائحات الثكالى فوق ألحان السماء!

حتى مكبرات الصوت تتلعثمُ تتلكأ يُربكها الموقف، يُفجعها المشهد، تقف عاجزة عن وصف المجزرة؛ وتتهوّل لبرهة من الوقت، وتملُّ ذكرَ أسماء الضحايا الذين يحتاجون لبيان صحفي يتلو أسماءهم، لـــ "مانفيستو أخلاقي" من داخل منبر ديسكو محترم! الشرف لم يُعد يُقرر بالديكورات والمظاهر الخارجية وستايلات هندام الأجساد، المومس لم يمنعها الفستان لتبتذل، .. والعفيفة لم تسترّها الملابس لو لم تكن الأخلاق محجبة!

الطريق إلى السماء مُزدحمٌ بالأرواح؛ وطائرات الشينوك الأمريكي عاجزة لم يسعها إسعافنا لأنها منشغلة بمهمة أكثر إنسانية في قصف عواصم عربية أخرى! ومُكبرات الصوت تنوح تراتيل سماوية فتُثقلها قائمة الشهداء؛ ناهيك عن المجهولة هوياتهم والمفقودين الذين ماتوا وهم ما زالوا على قيد الحياة تحت الأنقاض يتوسدون الحُطام والرّكام قبورًا تصلح للسكن وللحياة!

القائمة طويلة أطول من حبل الجلاد، وأطول من قامته، المشهد يدعو للسياحة والنّزهة والتمتّع والتقاط صور "السيلفي" مع الجُثث المتفحمة، بلياقة أخلاقية عالية العُري!

ليس المهم التعرّف إلى هويات الضحايا؛ وإنما الأهم هو صور السيلفي! أخشى أنْ تُصبح لقطات السيلفي بديلة لصور المعاملات الرسمية!

***

- في وسط الضجيج الصاخب يصرخ أحدهم: صورني قبل أنْ يفوت المشهد؟

- نعم، قبل أنْ تتفحم الجُثة نهائيًا، أو يبس الدم في أسفلت الشوارع!

- أستعجل لتصورني أنا أيضًا؟

- هيا سألتقط؟

- كلَّا، ثوانٍ، لأتوسط الجُثث والأشلاء من بين الرُّكام؛ الآن صورني!

- هل التقطتني جيدًا؟

- نعم؛ والأجمل الجُثة المتفحمة وراءك تبدو كأنها منظر سيُدرِجُ لك قافلة من الـــ (لايكات) على شبكات التواصل الاجتماعي!

- سلمت يداك صديقي؟

- بل سلمت يد الإرهاب الذي جعلنا نبتهج بهتك حُرماتنا، ونشعر بالحنين لقاتلنا!

***

ما زال العرب يتخفون وراء جدار التُّراث وهم يترقَّبون الحداثة برغبة وشهوةٍ جامحة يقتلهم الحياء من الناس وليس من السماء! بينما نحن واقفون مُذ الصباحات في طابور الحضارة والنهضة ننتظر دورنا ونصيبنا، فلا ننال بالنهاية كحصص إلا الملابس والمظاهر والشكليات والنتاجات التافهة كالألعاب النارية للأطفال، والمجلات الخلاعية للشباب، والمايوهات للنساء؛ والفتاوى الجاهزة للرجال، القيم مُحاصرة في خندق التطوُّر والحداثة؛ والعولمة تُضيِّق الخناق على الأجساد بالستريجات والفيزون والجيترات!

***

- غريب أمر العولمة؟

- ما الذي يُغربك؟

- أنها تُعرِّي العقول وتضيق الخناق على الأجساد؟

- أمر جيد وشرعي؟

- أنها تعرّي العقل إلى الإباحية، وتضيق على الأجساد بالفيزون المُجسم!

- هذه عولمة أم دعارة عالمية؟!

***

والأخلاق ديناصورات مُهددة بالانقراض من عالمنا، أنْتَ خلوق أذن أنتَ بدائي وقديم، يستحسن استبدال صورتك الشخصية بصورة سيلفي مع راقصة محترمة!

هناك بعض الديسكوات المُحترمة، والرقص مُحتشم؛ كأن تكون راقصة مُحجبة، أو عارية الأفخاذ؛ ومُحجبة لغطاء الرأس؛ لا أعتقد أنَّ هناك اختلافًا بين محجبة الرأس وعارية السيقان عن عارية الرأس ومحجبة السيقان، كُل ما في الأمر أنَّ مُصمم الأزياء والخياط أخطأ في التصميم أو صمم الملبس وفق هندسة الموضة!

***

فإذا كان غطاء الرأس حجاب المرأة؛ فحجاب الرجل لحيتهُ، ولحية المرأة حجابها؛ فيما لا زلنا نشتاط غضبًا لو رأى أحدٌ من محارمنا سافرةً أو تظهر خصلة من شعرها، فيما لا نفكر قطعًا بعراء الأرواح، ولا نهتمُّ بها، ولا نشتري لها فساتين وقمصانًا وثيابًا، لعل الأخلاق والقيم هي أثواب الأرواح العارية!

***

أيُّها الناس مُمتلكات السماء تتعرض للـــ "حواسم" والنهب والسلب وسطو مُسلح بقوة الفتوى، وإني أخجل أنْ أقول لكم من هم السُّرّاق واللصوص!

***

وإني لأصرخ وأقول لكم إنْ قاتلي رجل دين، وسارقي رجل دين، ومُشرّدي رجل دين.. ومُعذبي رجل دين.. وآكِلُ رزق اليتامى رجل دين، وناهش لحم الأرامل رجل دين!

أيُّها الناس يا من أجهلُ أسماءكم وعناوينكم.. أنقذونا بفتوى.. أو شددوا الفتاوى على الرقاب! لا نريد حياةً بين بين.

(2)

نُزْهَةٌ فِي شَوَارِعِ الجثَّثِ

في كازينو متواضع من حيث المظهر وخدمات الزبائن على ناصية شارع قديم وسط العاصمة برلين يجلس فريدريش هيجل مع أرتور شوبنهاور يحتسيان الفودكا بلذة، وهما ملتحفان بالفرّاء لمواجهة البرد بحوار ساخن، يُطالعان العالم من فلسفة التاريخ، التاريخ المُلطخ بالعار والويلات، ما أجمل النهايات التي تأتي فجأة؛ على الأقل إنها لا تشغل بالك مسبقًا، أو تأخذ قُسطًا وقت راحتك البدل ضائع!

- هيجل: هل تذهب لنزهة سياحية؟

- شوبنهاور: إلى أين؟

- هيجل: إلى بغداد أو أي عاصمة عربية؟

- شوبنهاور: العرب دول تفتقر للأماكن السياحية والمنتجعات والشواطئ والبلاجات؟

- هيجل: من قال لك؟

- شوبنهاور: الأخبار والتاريخ؟

- هيجل: كلاهما كذبة ومزيفون إنهُ إعلامٌ صهيوني، وتاريخٌ مزور!

- شوبنهاور: وماذا هناك إذن؟

- هيجل: شوارع من الجُثث تصلح للمتعة، تعيش جو هوليوود عن كثب، الأفلام سينمائية بارعة الدقة والتصويب، ستجد "هرمجدون"، و"سبارتكس" ووو، وسوف ترى وتتعرف إلى توم كروز ووو، الحقيقيين في بغداد!

- شوبنهاور: يا للهوّل، هل صحيح ما تقول؟

- هيجل: طبعًا، يا صديقي بغداد ليست مدينة للسلام، بل أصبحت مدينة للإنتاج الإعلامي لتصوير أفلام الرُعب والقتل، والدبلجة من اللغة العربية إلى اللغة العربية!

- شوبنهاور: حسنًا؛ احجز لي خمس تذاكر، أرغب بالسفر أنا وزوجتي وأطفالي!

- أُفاجئك لو قلت أنَّ التذاكر مجانية، والرحلة مدفوعة الثمن؟

- كيف يحصل كل هذا؟

- دعمًا للسياحة العربية!

- أنَّ شهرة العرب بكثرة الآثار والتراث أكبر دليل على أنهم أمم ما زالت ميتة!

ما أجمل العرب!

كُل الروايات والقصص المكتوب بحبر الدموع محتومة نهاياتها وأوجع تلك النهايات هو أن تنتهي بصفة "سائحًا في شوارع الجُثث" تتزّه بلياقة بدنية عالية! وأنْ تسبح في بحيرة من الدّم بمايوه إسلامي، ومياه صالحة لغسل الموتى وللوضوء!

وسيناريو تفاصيلها يبدأ وينتهي بانتصار البطل حتى ولو كانت من جنس المأساة، فهو سيشمخ فوق جراحه وينتشي بلذّة الزّهو وهو

يلوك بلبان الانتصار، دون المبالاة لتزيفهُ الداخلي، والمهزوم هو دور للكومبارس كسياق سينمائي مُعد سلفًا!

إلا فاجعة الكرادة (الرقص على موسيقى القصف) سيلفي مع جُثة، حفلات تأبين، أحياء مُكتظةٌ بالموتى، موتى في مدافن الأحياء أو "خلاّط جُثث"! هي رواية بطولية، كُل شخوصها الألف لعبوا دور البطولة، وكلهم ضحايا، وكلهم أبرياء، فأجرم تهمتهم أنهم ولدوا لأبوين عراقيين!

الضحايا أبطال روايتنا؛ والقاتل بطل من فياغرا!

***

الغريب في الرواية كما الواقع أنَّ الأبطال هم أول من مات، وآخر من يحيا! والجلاد ما زال "يُبرز" لنا فساتين سهرات لحضور حفلات التأبين، وأقمشة أكفان فاخرة، ويستورد لنا أكياس قمامة سوداء لحفظ ما تبقى من أشلائنا المفرومة بخلاط الجُثث!

الجلاد ما زال مُغيَّب عن أنظار قوات الأمن- قُبض عليه أكثر من مره، وحُرر بعدم ثبوت الأدلة، مُشتبهِ به فقط -، لربما يتخفى بشابو ماركتهُ أمريكية، أو صهيونية المنشأ والتطريز!

ما زال يخاتل، يناور، يتحايل، يلعب دور المرأة تارة، ودور العجوز الكاهل مرة أخرى، ودور الشاب المثلي مرات؛ أنهُ يعتمد

أسلوب التمويه والتضليل وإبعاد الشُّبهة، قادر على خِداع الناس بجدارة.

لهُ عينان شهلاويتان زائرتان ووجه أداكن في السمار، أخذت الشمس نصف نصيبه من السمار، ونسل العائلة نصفهُ الآخر؛ ككلب في قفص مُحتجز، مربوط بسلسلة حديدية غليظة، يحاول الوثوب على الوجوه، ونهش الأرداف، لولا الظرف المحيط به؛ الكثير من البشر كلاب مع وقف الظروف التي يمرون بها؛ حالما يجدون الفرصة مناسبة يعقرون، ويعضون، وينهشون أَظْهُر الناس؛ كما تفعل الكلاب المسعورة!

حذارِ من عضة الكلب الناطق؛ سامةٌ وقاتلة، وقد تتسبب في الموت؛ لماذا لا تتبنى الحكومة حملة طرد الكلاب المسَعورة خارج العاصمة حفاظًا على الإنسانية من الاستكلاب!

- الحكومة لن تفعل ذلك مُطلقًا؟

- لماذا؟

- لأنها بحاجة لتنظيف الشوارع والمبازل والترعات من الجُثث المتفسخة، الكلاب وحدها القادرة على إنقاذ العاصمة من الجُثث!

"بعض الكلاب تعلب دور مكنسة تنظيف في حالة الفوضى والحروب الأهلية"!

***

"أبو جاروبه" - فلم يستخدم هذا اللقب إلا قليلًا وما ندر - هي الكُنية الحقيقية، أما الاسم الحركي له؛ فهي كُنية على أحد المسميات الدينية القديمة، نتحفَّظ على ذكرها، لأنهُ لوّث بها تاريخ وسمعة الإسلام!

غالبًا ما يستعمل القاتل أكثر من اسم؛ للمناورة، والمشاغلة، وإبعاد الشُبهة، فهو أحيانًا ينسى أي شخصية ينتحل؛ كثرة الأسماء لا تُعبر عن مجده؛ وإنما عن جهل بحقيقة من يكون هو!

خبيرٌ مُختص في شؤون الرَّذيلة، مُهندس مختص في التخطيط للتنقل؛ لديه كاشف طريق، يُكشف له الطريق وتأمينه من السيطرات الأمنية؛ وفنان في التنقل، يترّجل أحيانًا، وأحيانًا يستغل دراجة نارية، وأحيانًا موتسكي (باي سكل)، غالبًا ما ترافقه امرأة حسناء، يشتري رفقتها بثمن من دور الدعارة، دون أنْ تدري ما مهنتهُ وعمله؛ المال يُحقق كل ما تريدهُ، المال "مقوّي جسماني" يساعد على إطالة القامات الصغار، لهذا صار السطو على البنوك والمصارف مهنة وطن!

كان غالبًا ما يتحفظ على عمله، فهكذا هي الأمنيات والحس الاستخباري لهؤلاء القتلة والمجرمين البارعين، مَنْ يتستر على مهنته وعمله تأكَّد أنها مهنة شائنة؛ وإلا لماذا يخفيها ويتحفظ على البوح بها؛ إنهُ فنان في مغافلة أو مشاغلة عناصر الأمن الوطني، لتحقيق برنامجه أو الانتقال بمهنية عالية.

ما زال رجال الأمن يجهلون اسمهُ الحقيقي، فعندما يتضعضع موقف الدولة يُصبح التزوير مطلبًا اجتماعيًّا لتحقيق ما يصبون لنيله؛ التزوير والغش آفة الدول؛ وهذا المجرم المحترف يمتلك هويات ووثائق ومستندات لا تدعك تُشكك به أو بهويتهِ، حرفي في وضع الأسماء والألقاب والعناوين وجهات إصدارها؛ لدرجة بعض عناصر الأمن تخشى منه على مستقبلها؛ خشية أنْ يكون مسؤولًا بالفعل!

فرجال الأمن الوطني والمباحث وشرطة مكافحة الإرهاب هنا مطالبون بالحيطة والحذر أكثر واتخاذ ما يلزم لمتابعة هذا السفور المتنقل، القنبلة الانشطارية، فالمُدبر ليس سهل الصيد، ولا هو مُجرد إنسان، إنهُ خبير مُختص في شؤون الخداع والمكر والمراوغة!

المُدبر أخطر من الانتحاري، الأخير يصلح لعملية واحدة ونتقي شره، أما المُمول والمدبر فهو مفقس لتفرّيخ أفواج من الانتحاريين والمجرمين الذي يتسببون في موت الضمير، قبلما ينقضون على خطف الأجساد فينا!

لا أحد يعرف نهاية ما نروي ونكتب من قصص وروايات؛ إلا أبطال سيناريوهات هوليوود؛ هم وحدهم يعرفون النهاية؛ لأنهم هم كاتبوها!

***

حتى اللحظة ما زالت هناك الشكوك تحوم حول روايات حياتنا وقصص مأساتنا البشرية؛ من أنْ تكون مدسوسة، أو مُحاكة، أو مُتأمر من خلالها على عيشنا؛ إلى كاتبي سيناريوهاتنا أوصيكم بدموع أطفالنا، والرفق بعويل الأمهات النائحات في مدافن الحياة ومأتم كربلاء!

***

أنا هنا من أمام حاويات أوساخ التاريخ؛ أنقل لكم حدث الفاجعة بالصوت لتكتمل عندكم الصورة، كمراسل صحفي؛ أروي لكم يوميات وطنٍ مُلثم بالدموع، وُملطخ العار الأخلاقي نقلًا حيًّا، وبثًّا مباشرًا، وأدعوا لنُزهة في شوارع الجُثث؛ لكن ليس قبل أنْ تترعوا أحذيتكم؛ فأنتم في بغداد الواد المُقدس طوى، أنتم في قداسة الجُثث والرِّفات والأشلاء تُربتها الطاهرة كالعذراء مريم، أرض مياهها الجوفية دم وسيّان وحيض ونفاس .. فلم تعد صالحة للتيمم، ولا حتى للصلاة!

سيحوا في الأرض كزوار، في طواف أخلاقي، نَقّبوا عن حامض الأمة النووي (DNA)، جُثثنا تصلح آثارًا للتنقيب، وأخلاقنا بحاجة إلى إدراجها ضمن التراّث العالمي لأغراض السياحة!

فهي بحاجة ماسة - أيضًا - إلى التموّيل العالمي لإعادة ترميمها وتأهيلها؛ علَّها تصلح لحال إنسانيتها أو تُعيد ما أفسدتهُ سلوكياتنا! كُل شيءٍ فينا بحاجة للترميم، ما خلا الضمير فهو وُلِدَ رميمًا!

رسالة نصية إلى السيّاح الأجانب.. وثقوا رفاتنا بآلات التصوير الفوري والملون، وبكاميرات السيلفي، وفي كل لحظة اقتنصوا سيلفي مع جُثة، لا تَفُتْكُم متعة المشاهدة مع جُثثنا، فهي تصلح للسيلفي مثلما للعويل!

أجمل ما السفريات والرحلات السياحية أنك بعد كذا عام تفتح ألبوم الصور لتستنشق عبير الماضي بأنفٍ من فولاذ!

***

ألا تظنون أنَّ آلات التصوير أصبحت أكثر خطرًا علينا من آلات السكين الجارحة، آلة السكين قد تجرح شخصًا، وآلة التصوير قد تشوِّة حياة أمةٍ بأكملها!

***

فعندما تمر بشوارع مُكتظةٍ بالييباب مُزدحمة بالجرّاد أهلةٌ بالرّماد، أرصفة ملونة بأصباغ النعيّب الأسود، وطلاءات الدّم المحلي الصُّنع؛ وشوارعٌ مُعبدةٌ بالدم والعويل والنفاس، ومُرصوفة بالرُّفات والجماجم التي تعود لمعركة البسوس بنسختها الحديثة! يسرح بها الغفار، قاحلة وممتدة، أكواخٌ مهجورة تنعِقُ بها الغربان، خوذٌ هنا، وأشلاءٌ هناك، ومواقد جمرٍ لمحارق نيرون تصلح لصناعة شايٌ قاحل حساء لرّحالة الطريق، تجد الأقنعة المُلتحيّة ساقطة في بلاط الأرض مُداسة بأقدام المارة، والجماجم المُعمَّمْة مُلقاةٍ على الطُّرقات تُعانِق رَمادها، والأزياء

الأفغانية، وآيات السيف تصهل في الرّقاب، وفرّوات رؤوس مُحجبة بشعث العطوب، والكلاب تتقاسم نهش الأضُحيات مع الديدان والحشرات، وسيارات دفعٍ رُباعي محشوّةٌ بالسلاح العقائدي والطلق الثأري، والرصاص الحيّ الذي يُميت، والعيارات التي تقذف للخلف، تنتقي شأفات الرؤوس لنحرها، وتشم رائحة بارود ديني من ذخيرة معركة الجمل عن بُعد ألف ميّل؛ تتقاذف إليك رائحتها ونتانتها كالسيّل الجارف؛ وفتاوى مُلطخة بالدم والعتاد، عندما تشاهد كُل هذه الصور الحية فتأكد أنك في سياحية دينية!

وتأكد يا صدقي السائح .. أنْ تلك الصور الحيَّة تعود لأمةٍ ميتة!

احرصْ على اقتناء تذكرة سفرٍ أخرى جديدة، فالحجوزات مسبقًا، فالمقاعد معدودة، والحجز محدود، والبطاقات على وشك النفاد!

- هيجل: تعال يا صديقي شوبنهاور لنلتقط سيلفي مثلما يفعل العرب!

- شوبنهاور: ماذا تقصد بالسيلفي يا صديقي هيجل؟

- أنْ تقتلَ أخاك وتلتقط صورةً فوق جُثتهِ!

- ما هذا الجنون؟

- بل هذا من عين إعمال العقل العربي!

- لقد شوقتني يا صديقي لرؤية العرب، متى السياحة في شوارعهم، بدأت أتلذذ لمشاهدهم!

- حالما يعلن العرب الحرب على بعضهم البعض!

(3)

أقْنِعةٌ مُلتَحِيَةٌ وَجَمَاجِمُ مُعمَّمَةٌ!

أنهى مكالمتهَ الهاتفية بجفاءٍ وغِلظة، كانَ غير راضٍ عمن تحدث إليه، أو عن شبكة الاتصالات (!)، ملامحه تقول ذلك، ليس هناك ضرورة الإعلان عن غضبك أو فرحتك ورضاك، الدم في وجهك لسان حسي ينطق بدون وعي من ذلك!

كان متصلًا بمن يُهاتفهُ بأسلوب ثأري وانتقامي وتصّحر فكري، وهجوم ديني على التابوهات المُقدسة، بحذلقة وكلام معجون بسمٍّ قاتل ومُميت، وذهول تلاهُ بعد ذلك صمتٌ بألف علامة استفهام!

كان الكلام مقتضب وقصير ورمزي لم يخلُ من كلمات مُنمْقة تحدثا عن الدين والله والجنة والجهاد والنصر والسيف والحواري ومفاتيح الجنة وصكوك الغفران ووجبة العشاء الدسمة مع الرسول، لم تكن المكالمة ساخنة كالمُعتاد، وإنما المشاعر كانت "حرائق نينوى"، "محارق نيرون"، "هولوكوست صهيوني" أو أشد ضراوة!

كان فحوى المهاتفة أو المقتطف المهم منها؛ إنْ الله بعثهم لهداية الناس، وإحياء الدين من خلال قتل الناس، وأنَّ الله بعث لهم وكالات خاصة مَمْهورة و"مُختومة" بالشمْع الأحمر ليكونوا نواب السماء في الأرض، والجنود المطوعين لإنقاذ البشرية من هذا المجتمع الكافر والعابق بالمنكر والرَّذيلة والفجور ورائحة الجنس!

وذلك عن طريق نقل خدماتهم من ممتلكات الأرض إلى ممتلكات من السماء من خلال ممارسة القتل بهم ومعهم!

المُلثم (العقل المُدبر) ما زال مجهولًا لم يكشف النقاب عن هويته، أو يُماط اللثام عن وجهه المتخفي وراء قناع ديني، فهو العقل المُدبر الافتراضي، حتى الانتحاري لم يعرف من هو هذا المُدبر، وما هو اسمهُ، أو كُنيتهُ ما خلا اسم "أبي جاروبة" - غالبًا ما يستعمل الإرهابيون كُنيّات دينية لأسماء إسلامية من الرّعيل الأول اعتقادًا منهم أنهم يُمثّلون نهج الإسلام المُبكر؛ فيما هُم بذا يُسيئون للإسلام ولصحبهِ الكرام بدون وعي أو بجهلٍ مُقدس!

وكيف يكون الوعي إذا كانت عقولهم هي المُلثمة وليس وجوههم!

أو كان الجهل عندهم مُقدسًا و(تابو)!

فهو يجهل حتى ملامح وتقاسيم وجه، فهل تظنون إنَّ للأقنعة المزيفة تقاسيم!

الانتحاري يتلقى الأوامر لا سلكيًّا، من شخصٍ مجهول، لا يتحدث إلا إلى حاكية وسماعة صوت ونبرة صوتية لجلادٍ قديم يُردد بين كلمةٍ وأخرى آيات من الذكر، أو يردف قوله بحديثٍ نبويٍّ أو رواية مروية، وكلامٍ مزور لكنه مُخيف، تلقين على طريقة الجلادين، فمن تعاليمهم المسخة إنهم لا يحق لهم معرفة من هو أعلى منهم منصبًا

أو مرتبة في التنظيم المسلح؛ يوهمون الجنود (أبناء الخائبات) [انها احترازات أمنية، ولربما لا يريدون أنْ يُكشف أمرهم، وصلتهم بمخابرات أجنبية معادية للإسلام والإنسانية! يخشون أنْ يعرفوا أنَّ الإمام فيهم يؤذن باللغة العربية أو يُصلي بهم الخطيب باللغة الإنجليزية ذات اللكنة الأمريكية!

إذ غالبًا ما يمتلك المجرمون أسلوبًا مُعقدًا ودقيًاق في التلقين وبراعة في إقناع وقوة صوت قادرة أنْ تُحدثَ ثورة عنف داخل النفوس، وإلا ما كان للشبكة الإجرامية أنْ تختاره لهذه المهمة القتالية الصعبة.

- المُدبر: ستكون الأسبوع القادم في مهمة ربانية تنفيذًا لإرادة الرب ورغبة مملكة السماء؟

- السائق الانتحاري: أنا خادم للرب والسماء وللأتقياء!

- أنتَ مُناضِلٌ خلوقٌ ومُحترم ومطيع، تُعجبني حيويتك، "قالها وفي جُعبته كرش من الهزل والضحك الأصفر"! لقد أسقط طيرًا جديدًا يُغرّد في تويتر الإرهاب!

- لقد اخترنا لك مطارًا تُقلك به طائرات الربِّ إلى السماء، كالطير، ترفرف عاليًا في فضاء الجنة؟ وكذلك حجزنا لك التذكرة والفيزا والحقائب وكل متطلبات السفر، واسأل الرب أنْ يكون سفرًا موفقًا لوجه الله!

- وأين هو المطار، دلنْي على عنوانه ومتى السفر؟!

- بغداد/ الكرادة داخل، أرخيتهُ، بين مول الهادي سنتر ومجمع الليث التجاري، هناك سيكون رحيلك أسهل وحظوظ الجنة أوفر، وربما سيزداد عدد الحواري، كُلما قتلت عددًا أكبر!

- أرسل لي الجواز والتذكرة "قالها بغباء، ظنًّا منه بأنها فعلًا رحلة سياحية"!

- قتل الناس هو جوازك للسفر إلى الجنة!

- حسنًا؛ لكن قُل لي من أنت؟

- ليس بالضرورة أنْ تعرف من أنا، أنتَ تعمل لله أم للبشر،

- لله طبعًا!

- إذن اعملْ بصمتٍ ودعْ عملك يتكلم؛ وأسمعنى جهدك في أنْ أسمع مُكبرات ولاقطات السماء تُهلل وتصهل باسمك مع دوي الانفجار!

- لكن معرفة بعضنا بعضًا ليس رياء، نحن اثنان في مركب الجنة، كلانا سنسافر إلى الجنة معًا.

- كلا؛ أنتَ الآن تذهب الآن، وأنا سألحقك بطائرة ربانية ثانية!

- ولماذا لا نرحل معًا؟

- احترازات أمنية، وأنا أكره الادعاء والرياء، فلا نذهب مع بعض الانتظام مطلوب هناك على باب السماء!

- ولماذا أنتَ مُلتحٍ؛ إذا كانت المظاهر رياء؟

- ومَنْ قال لك إني مُلتحٍ؟

- كلامك يوّحي بأنك مُلتحٍ، اللحية ليس للوجه، أحيانًا تكون في العقل أسوى! "بعض الناس تستشعر بلحيّتهم دون أنْ تلحظها على وجوههم، اللحية في العقل وليس في القلب، اللحية للإيمان وليس لقتل الإيمان"!

- أنا مُحلق ولست مُلتح!

- ولماذا؟

- لدواعٍ أمنية وضرورات دينية!

- الإيمان في الشكل وليس في القلب؟

- اللحية واجب ديني والحجاب فريضة إسلامية؟

- هذا يعني إنك لن تدخل الجنة لأنك مُحلق، وإنْي سأصاحب "دستوفيسكي" و"تولستوي" و"برنارد شو" في الجنة هناك! وقد ينافسني على إحدى الحواري! أخشى أنْ يستقبلني في مطار الآخرة هناك تشارلز داروين، فلحيتهُ أطول من لحيتي!

- حذار من لمس التابوهات بكلام مفوّه، أنت تتطاول على النص الديني.

- أبدًا؛ لم أقصد الإساءة، وإنما مجرد التساؤل!

- أخشى من غضب السماء عليك، من أنْ يحرموك من الحواري.

ثُم يُضيف: إياك أنْ تسأل ثانيةٍ في أمور تسيء لكم .. أنا سيدك؛ أنتَ جندي، وأنا أميرك، لا تتعمق في حديث التابوهات، نفذ الأمر ثم ناقش!

- "مُتخضعًا له وذليلًا"؛ كما ترى ذلك مولاي، أنا بانتظار التحرّك نحو الهدف حسب توقيتاتكم، لقد اشتقتُ إلى الجنة أو بالأحرى إلى الحواري!

متى يفكر العقل العربي بحيادية وتجرُّد بدون شهوة؟!

هيجل والتاريخ في انتظاركم يا عرب!

شوبنهاور وحكمتهُ يتوقون لسيلفياتكم

(4)

تابوهات

من قلب الطاولة على الحوار وتلاعب بسُلم الأولويات وقدم المادة على الإنسان، والطائفة على الدين، والإنسان على الرب؛ وانتزع القدّاسة وأضفاها على دنيويات مشينة، فأصبحت تابوهات في المجتمع، يعاقب مَنْ يمسَّها، وأبسط العقوبات القتل، وأشدها التمثيل بالجُثة فنًّا هوليووديًّا!

لماذا نختّن الأنثى، ولا نؤنث الرجولة إذا كان ما يقوم به الإنسان فعلة شائنة، وعملٌ تخجل منه أبغض النساء؛ ممتلكات بعض الرّجال بحاجة إلى إعادة تقييم ومراجعة، وأثاث بعضهم بحاجة لموديلات نسائية تناسب حقيقة تفكيرهم وذوقهم الشاذ!

لم أسمع بإنَّ امرأة فجَّرت نفسها في سوق شعبي، أو مول ملابس، أو مسجد مصلين؛ ولم أسمع بتنظيمات نسائية مُسلحة؛ كُل ما سمعتهُ عن إرهاب النساء هو القيام بعمليات تجميل مسلحة استهدفت واجهة بعضهن وترميمها بالقرميد والمكياج والأصباغ المائية!

الفارق بين عمليات الاثنين هو أنَّ النساء تنفذ عمليات من أجل محو التشويه الحاصل؛ فيما الرجال تنفذ عملياتها من أجل التشويه والتنكيل والهتك بالقيم!

بصوتٍ متمرّد شجي تُخاطِبُ المرأة العربية الرجل بلغة جارحة وموجعة، وهي تحاول تأثيث رجولتهِ المتحولة، أو صحوتهِ الغابرة:

- لماذا تنحرون وتفجرون أنفسكم؟

- الرجل: بحثًا عن الحواري؟

- المرأة: من لا يحسن اختيار المرأة في الدنيا، لن يحسن الاختيار في الآخرة!

- أكذوبة فقط!

- بل الحقيقةُ كُلها!

- الانتحار وعدُ حق!

- الإسلام لن ينتشر بالموت، الإسلام دين الحياة! ولو كان كذلك لدفن في المقابر ولم يرتق لأصقاع أوروبا!

- نحن أعقل منكم أيُّها الرجال؟!

- بل ناقصات عقل ودين؟

- إذا كان العقل الكامل يدعو للقتل، فيشرفني نقصان العقل حتى نُحيي من يمكن إنقاذه!

- لماذا لم تنتحر النساء؟

- لأنه لا يوجد حورٌ من الذكور!

- عقلكَ رديء بحاجة لصيانة! ما رأيك أنْ أمنْحَكَ جزءًا من نقصي .. لعلك تكتمل!

مع ذلك كُله ما زالت المرأة العربية في نظر عقولنا المُتخشبة أقل من بشر موضع تشكيك ولم تتلقَّ تلك الثقة، إذا كان المجرمون يُعدون من جنس الرجال وهم يقومون بالأعمال الإرهابية؛ لماذا لا نُكرم النساء على إنسانيتهن، رجولتنا بحاجة للكشف الصحي، لفحص سريري؛ ما نقوم به لا يندرج ضمن خصائص الرجال يا عرب، هو فياغرا أو أفعال المقوّيات الجنسية!

فلنميط اللثام عن وجه الحقيقة، فالحقيقة مهما تكن مُكلفة فهي ليست أغلى من الكذب والخديعة!

كفى صبغًا وغشًّا وتلوينًا، ولماذا أصبح الحديث عن الحقيقة من المحظورات؛ أيتُها الحقيقة لعلكِ أنتِ أولى بعمليات التجميل من وجوه النساء!

ما نمارسه كرجال من أعمال عنف وإرهاب تندرج ضمن سلوكيات الأنوثة.

- الأنوثة هنا تثأر؛ ترفض أنْ تتشبه أعمال الرّجال بها.

- نعم؛ فمن حقها ذلك!

الأمر بحاجة لفتوًى أخلاقية شرط ألا تكون صادرة من مؤسسة دينية أو مجمع فقهي أو مسجد يُطبل للفتنة والشقاق!

إنَّ أكثر ما يُثير حفيظتنا هو الفتاوى المستوردة، نحن لم يغتلنا البارود، أو السيف، أو الرّصاص، أو القنابل أو القذائف أو السيفور، إن القاتل فينا هو الفتوى!

ولم تجبرنا على الهروب إلى المنفى إلا الفتوى، الفتوى صاحبة فضل عليّ في التعرُّف إلى الاشتياق والحنين عن كثب!

وللفتوى فضائل وحسنات؛ أعطتني معنًى مُغايرًا للوطن، وصوبت ذائقتي لأغاني الوطن ومواويل الغُربة؛ على الأقل حققت فيه شروط المسافر؛ وحسستني بأنني سندباد تاجرٌ من بغداد وبضاعتي وطن!

جوقة الفتاوى والصيحات الدينية والأناشيد والأهازيج تُشعرني وكأني أبو جهل في خِضم معركة بدر، أحاول الاتصال بتليفون شكاوى المواطنين، دون أنْ أفلح بذلك، رقم التليفون صحيحة تمامًا، لكن الخطأ بالمُتصل، أين هم المواطنون؟ نصفهم قابيل ونصفهم الآخر هابيل، بئس الإخوة!

ما زال ذلك الإبليس المُلثم، المُتخفّي بفرّاء إنسان تقيّ وورع، الذي يتخفى بـــ شابوه ملون، أو "تابو شعر" لحية وشارب مفتول، يصلح للوقوف على طابور مبغى!

ما زال سونار كشف الجريمة لم يتعرف إليه؛ تم استيراد جهاز "كاشف الزاهي" لمراقبتهِ، لعله يغتسل جسمه بالزاهي؛ موهمين رجال الأعمال والتجار والمقاولين؛ هل نسيتم أنَّ المجرم يكره النظافة، والوساخة عنده ضرورة أخلاقية!

لم يُلفت نظر الناس إليه كثيرًا؛ كالعادة، فالغرباء دائمًا ما تتجاوزهم عيون المخبر السري، وتنال من الأهل بجدارة، فالواشي والعسس والمخبرون لا ينقلون المعلومة إلا على بني جلدتهم، مثل شباب الفيس بوك، يبثون فجاجة الحياة مباشرة عن أدق تفاصيلها مثل: دخل في المسبح، خرج من الحمام، اشترى كارت شحن، تعاطى حلوى، شاهد فنان في المول، تبضَّع شورتًا، تسوَّق خضارًا، حلق شعره، صبغ لحيتهُ، لعب بأنفه على أدق تفاصيل المراقبة وبمهارة عالية، فيما يمخر ذلك اللص المُحترف عُباب ضمائرنا ويتوغل في العُمْق من وجداننا، يحاول نهش أمننا وسلامتنا بأنياب كلبٍ جبان دون أنْ يطلب أحدٌ هويتهُ أو على الأقل محاولة تخويفه!

لعل المجرم فنانٌ ماهر في اختطاف سعادة الحياة من جيوب شفاهنا؛ وفنان في التمثيل بجُثث صغارنا المفرومة بخلاط السيفور؛ فهو يصلح للقيام بدور بطولي سينمائي هوليوودي.. لكن بطولة في الشبق المُحرم، وفحولة من اليوبريما!

***

ما نفعله بإخوتنا اليوم، شبقًا مُحرمًا، تابو أخلاقيًّا، هتكًا للمُقدّس، مُنكرًا في العرّاء، إذا لم تمنع الشهامة أعيننا من النظر لعورات النساء، فلا فخر بالحجاب والملابس؛ ليس جسد المرأة من يحتاج إلى حشمة ونقاب وملابس فضفاضة وغطاء للجسد؛ بل عقولنا هي الأحوج للحشمة والحجاب والفساتين الطويلة!

ما نحتاجه هو ليس داعية دينيًّا أو مُصلحًا سياسيًّا أو نائبًا برلمانيًّا، بل نحتاج إلى "كارل لاجرفيلد"، و"فالانتينو جارافاني"، و"رألف لورين"، و"جين بول جولتر"، علهم يصممون لنا قمصانًا لعقولنا العارية، وبناطيل تحشم عورة تفكيرنا!

لاجر وجارغ ولورين وجولتر ليسوا رجال دين أو دُعاة منابر، أو قُضاء حاكم تفتيش، أو خطباء جُمع تحض على الفتنة وإشاعة البغضاء بيننا، بل هم مُصممو ملابس لحشم العورات والعاهات فينا!

يا رجال الدين إنْ لم تكونوا مُصمْمي ملابس دينية للحِشمة والأخلاق، فانزعوا العمائم من رؤوسكم وألبسوها لعقولكم علها تُبصر لكم الحياة بزهوها من غير نكير!

إنَّ حرب الإنسان على الإنسان أندى جبين الحيوانات المؤتلفة، وأمعض أشدها فراسة، وأثار حفيظة ضارياتها؛ ألسنا بحاجة اليوم إلى من يُطهر مراحيض العقل فينا من عاهات التفكير؛ ويشطف من عقولنا قاذورة التكفير!

فقط أتساءل بوجع: لماذا لم يُخصص العاملون في المصانع حفاظات للعقل العربي!

متى ندرك أنَّ الحيوانات تخجل من فعلة الإنسان بأخيه الإنسان؛ وتخجل من الانتماء لبلدتنا، وتخجل من أنْ تكف عن هويتها المحلية!

.. الـ k91 لن تكتشف النزعة الحيوانية لدى المُجرمين؛ على الأقل فالحيوانات لا تُكسر بحيواناتها؛ والكلاب أكثر وفاءً من البشر؛ لهذا مر "العقل المُدبر" ككلب ولم توقفه نقاط التفتيش!

***

لماذا لا يحبل الرجال، إذا كانوا يحيضون ثم يرمون أقذارهم فوق مدننا وهم يحرقون الحرث والنسل، يُبكون الأم، ويرملون الزوجة، ويدمون قلب الأخت على خطيبها، وهم يحولون طفولتنا إلى مشروع شتات وتشرد!

هم يحبلون مثلما يحيضون؛ لكنهم ينجبون إلا عاهات مُفخخة، أو مسوخًا مُعدة للتفخيخ؛ من قال لكم إننا نريد أنْ نموت؛ الله خلقنا لنحيا حتى نقوّم الحياة؛ لا لنموت بفتوى مُنتهكة؛ الله يمهلنا حتى آخر نفس لعل المذنب منا يتوب فيغفر له ويدخلهُ الجنة، والرسول يبكي

[1] نوع من الكلاب البوليسية المتطورة التي تستخدم لكشف المُتفجرات والمفرقعات والتعرف إلى وجوه القتلة والمجرمين.

على موت كافر؛ لأنهُ مات ولم يقنعه بالإسلام؛ وأنتم تهرولون كالصخب؛ كالهشيم إلى أرواحنا لتعليقها على شماعة السماء بدبابيس فتوى قديمة وشماعة تفاسير موتى!

ليس هناك فعلٌ أقذر مما نفعل ببعضنا البعض، نمارس فاحشة المُنكر على الملأ ثم ندعي القيم والشرف .. عالم لم يعد فيه هناك خطوطٌ فاصلة بين النبالة والنذالة كلاهما متعانقان في حاوية النفاية!

لماذا لا يُصبح في أوطاننا قتل الإنسان تابو لا يمكن المساس به أو الاقتراب من سلوكياته؟

هذا يعني أننا سنعيش أزمة عمل فتتفاقم البطالة والتسكع والعطالة! فالقتلة والمجرمون يملؤون الأوطان العربية يشكلون نسبة لا يُستهان بها؛ فإذا جُرم القتل ومُنعت الجريمة فمعنى ذا أنهم سيُصبحون عبئًا على الوطن! ويطالبون برواتب تقاعدية أو معاش رعاية!

أخشى أنْ يتحول بعض القتلة في أوطاننا العربية إلى مستشارين عسكرين أو محاربين قُدامى برتبهم وجرائمهم!

مؤسف جدًا أنْ تُطالب بعض عاهرات الوطن بمخصصات خدمة هَزٍّ مجانيٍّ من أجل سعادة الناس في الملاهي والنايتات الليلية!

لماذا تبرع أمريكا وجنودها وحلفاؤها وقُضاتها في سنٍّ قوانين مكافحة الإرهاب بأسرع التشريعات وأمهرها وأغلظها، فيما يعجزون عن سن قانون يحفظ كرامتنا وإنسانيتنا، رغم إنهم رُعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان إلى جانب رُعاة الإبل والغنم والأبقار؛ طبعًا؟! نسخة منهُ: إلى شيخ قبيلة الكاوبوي دبليو بوش الابن!

ولماذا يفشل سياسيونا للمرة الألف من سن قانون يُجرم الطائفية وأخواتها العاهرات في مبغى الوطن؟!

عشرات القُضاة والحقوقيين ورجال الدين والساسة والأعمال والأمن وآلاف المستشارين الذين لم يتجاوز عمرهم سن الرُّشد(!) وهم يقفون اليوم عاجزين عن تشريع قانون يُجرم الطائفية وأخواتها الأجيرات!

إنْ لم نقف وقفة تاريخية ونعلن من أجل إسلام بلا طوائف ومذاهب متصارعة، ونسن قانونًا أخلاقيًّا اعتباريًّا نؤسسه في صحن وجداننا، ونُصدح به في ميكرفونات أفواهنا، صرخة مغتصبات أو منتهكات، ونوقف نزيف الدم؛ فذلك المُلثم بشابوه أجنبي سيظل يُلاحقنا حتى مراقدنا، سيطال كُل مُقدس فينا، سيظل حُرًّا يتنقل كالعاهرات من مبغى إلى مبغى تحت أنظار المارة!

***

أيُّها الفنانون والملحنون والمطربون والمغنون والرقاصون والساهرون والنحاتين والمبدعين والكُتاب والمثقفين والإعلاميين والصحفيين وكافة الرموز والكوادر المتقدمة، لا أطالبكم بأغنية عن الوطن أو موال عن الغربة، أوقفوا العمل بهذه المهاترات، الوطن لا يحتاج لمطرب الحيّ، ما نحتاجه صرخة تاريخية بوجه العنف والقتل والتطرّف والطائفية، فمن قتل ضحايانا في الكرادة وقبلها وبعدها هو السلاح الطائفي المحشو بالفتاوى الجاهزة والمُعلبة، وبالعتاد الشرعي والتأويلات القديمة وتفسيرات الموتى السريعة الانتهاك!

أيُّها الناس لا تتعبوا أنفسكم في التعرّف على المفقودين في محيط الانفجار أو برادات الطب العدلي أو براميل قُمامة وزارة الصحة؛ الأجدر بكم أنْ توفروا فائض وقتكم للبحث عن ضمائركم المفقودة منذ عشرات السنين، عن كرامتكم، عن بكارات نسائكم، عن تابو انسانيتكم المنتهك، فعمليات التفخيخ والتفجير التي تضرب مدننا ومراكزنا ومساجدنا وعتباتنا ومؤسسات الدولة الحيوية هي آخر مرحلة من عمليات العنف، بعد أنْ فخخ الإرهاب عقولنا، ونسف الكرامة، وفجر معالم الإيمان في وجداننا وهدم قباب العقيدة في الروح، ولوّث التفكير وطَرَف الفكر وسَوّف القيم وأزال تَرّهُلات الأخلاق من الجسد؛ وصرنا عُراة الروح قبل أنْ نتعرّى من ملابسنا!

لم يعد التابو في الوطن تابو، والمنتهكات والعاهات والمسوخ أصبحت في أوطاننا تابو لمن لا تابو له!

كيف ننعم بالسلام؛ والسلاح صار في متناول من لم يبلغوا سن الرُّشد؛ والسلاح صار أكثر بضاعة رائجة في أوطاننا العربية!

وكيف نأمن على سلامة وأمن أجيالنا وأمريكا والغرب يُصدرون إلينا بضاعة العتاد الناري، والمفرقعات والمواد البيولوجية القاتلة والأسلحة المحرمة، والعاهات العربية تستورد ذلك السلاح باتفاقات مباركة بفتوى دينية!

كثيرًا ما نسمع في وسائل الإعلام وتصريحات جنرالات الحرب بأنْ هناك أسلحة مُحرمة دوليًّا؛ ترى هل هناك أسلحة مُباحة لقتل الناس؟!

***

مواطن مُتسكع يسأل صديق لهُ يكبرهُ سنًّا في التسكع!

- ما وظيفة وسائل الإعلام!

- إلباس العاهرة حجابًا، وتعرية العفيفة!

- كيف يكون ذلك في آنٍ واحد؟

- بإمكان الإعلام أنْ يهب العاهرة شرفًا بدون ثمن؛ وفض بكارة عفيفة بمجرد إذاعة خبر عاجل في السبتايتلات!

- تقصد أنَّ الإعلام مأجور؟

- وبثمنٍ حرام!

أنا أُفضل وأنصح أنْ يستبدل اسمها من وسائل الإعلام إلى وسائل الإعدام فهي تعطي معنًى أقرب للحقيقة!

***

والكرادة تحت النار؛ بل بغداد تحت القصف اللا أخلاقي؛ ما دام ذلك المُلثم ما زال يتنقل ويتجوّل في شوارع بغداد، يحمل هويات مُزّورة، وسلامٌ مُرخص دمويًّا، والانتحاري سائق شاحنات مُفخخة تحديدًا يحمل "هوية سائق عمومي" حق قيادة كل المركبات المفخخة والملغمة!

بغداد تبكي مطرًا أسوّد؛ كالحداد وما زال المُدبر غيمةٍ طازجة لعويل المطر يُفخخ وينسف بمجاعة أممية، لماذا أصبح الهروب من الفتوى هجرة روحية، من ديار الإيمان إلى ديار الكفر والظلام والضلالة، لماذا لم نبقَ في ديار الإيمان؟ إنَّ ما نقوم به هو بالفعل إيمان!

جنون العقل المُدبر يُفجر ديار الإيمان وينسفها على أنها ديار كُفرٍ وضلالة؛ في حين أنه يحمل جنسية أمريكية وأخرى أوروبية؛ ويكون مقيمًا في إحدى عواصم ديار الكُفر؛ لاحترازات أمنية!

والأخطر من ذلك كُله هو أنْ يكون المُدبر مقيمًا في تل أبيب؛ ويهاجم اللوبي الصهيوني، ويلتقي بشارون أو باراك، ثم يعاقر ليفني، فيعلن من هناك الجهاد ضد العرب!

(5)

رُجولةٌ مِنَ الفياغرا!

في مقبرة صمتي أتفقَّد ذاتي بعكاز عقلٍ مشلول؛ أدبُّ في الطُّرقات كمتسولٍ قديم يحملٍ نعشًا فوق جسدهٍ، أُفتش في قمامة النسيان عما تبقى من ذكرى!

كذب من قال: إنَّ المقابر للصمْت، وماذا تقولون عن عويل أمي بين عرصات القبور، وهي تُفتش عن نعشٍ تائهةٍ لأبي، أو جارةٍ تنبش الموتى بأنامل مُرعبة عن فقيدها الغائب مُذ ثلاثين عامًا وهي تتأمل العثور عليه حيًّا أو ميتًا جُثةً أو رُفاتًا!

القبور في بلادي تُصدر بيانًا "مانفيستو" تعتذر فيه عن استقبال جُثث أخرى؛ بدون أنْ تكون معروفة غير مجهولة لها علاماتها الفارقة واسم ذويها وهويتهُ وعنوانها؛ لقد اختلطت الجُثث المجهولة وتسبب في فوضى في المعيشة والسكن! وطن يصلح للموت أكثر من الحياة!

القبور تعتذر عن استقبال الجُثث لم يعد هناك قبور شاغرة أو جاهزة للإيجار؛ حتى "هياكل" القبور استوطن بها الموتى، وبعض القبور

أسكنت عائلتين في لحدٍ واحد، لم نستفد نحن العرب من السرعة والتقانة، إلا سرعة الموت!

***

حفريات في الذاكرة المُخلة بالنسيان، بحثًا عمَّا نجا من أشيائي الرّثة وأمنياتي الضحلة، لإنقاذ ما يمكن انتشاله برافعة أنقاض التاريخ، فحاويات القمامة أصبحت للجُثث والعقول لا للنفايات أو ما يلقاه المارة من أعقاب سجائر أو قواطي بيرة إسلامية أو فضلات أكلٍ!

عزيزي المواطن: حافظ على نظافة العقل، لا الأماكن!

فالإنسانية خطٌّ أحمر، احترسْ، ابقَ بعيدًا عنها لئلا تتسبَّب في تجريح الضمير! على ما يبدو أنَّ تابو الإنسانية اليوم كإشارة الضوء، أحيانًا أحمر مُحرم، وأحيانًا أصفر مُحذر، وأحيانًا أخضر مُنتهَك، كالبلل ومياه الحيض العربي!

كادت الإنسانية تغدو ضحية اللعبة السياسية أو كانت قد حدث ذلك بالفعل! فالناس هنا تموت من أجل أنْ يحيا القاتل؛ والقاتل نحن من نُديم عُمره، والقاتل لا يحيا إلا على الجماجم، يتفاقم، يكبر يعلو شأنه "المُتقزم" كُلما زاد عدد الجُثث المُتراكمة، فالأقزام لا تتسلق المنابر والمنَصات إلا لتعويض منخفضاتها وقزامتها!

والمجرمون لا يقتلون الناس إلا لأنهم أقزام وقصار القامات، فلا يعلو هاماتهم إلا بالمكوث فوق أكداس من الجماجم والعمائم والمآتم وقائمة طويلة من غشاءات البكارة!

من اغتال الإنسانية في الكرادة، ليست سيارة مفخخة أو صهريجًا مُلغمًا كما أشاعت ذلك وسائل الإعلام، وإنما الفتوى الدينية هي التي نسفت تلك القيم وأحرقت حدائق الحياة المُبهجة ببراعم الطفولة!

بغداد لم تعد مدينة السلام ما دام السلاح مَنْ يحكم مصائر الناس فيها، وبغداد ليس سندباد، وسندباد محكومٌ بفتوى دينية مُعلبة بحجة التجارة بالدين والوطن!

بغداد ليست حدثًا غامرًا أو خبرً عاجلًا، هي مصنع الجنائز وساحة نائية لرمي الجُثث، كأنقاض، بل بغداد هي قصة ألف ليلة وليلة .. يا هوليوود اروي للناس قصة فاجعة بغداد، على اعتبارك أنتِ كاتب سيناريو الفاجعة!

لماذا يعقابنا التاريخ باسم حُمْاة الدين وأوصياء الشريعة؛ ومن هم حتى نُصبح أضاحي تنحرنا تفسيراتهم السامة؟ وإذا كان يُخاطبنا بصفتهِ رجل الدين،

- من أنتَ؟

- رجلُ دين.

- وماذا تحسبنا نحن، نساء دين مثلًا!

- ما مهنتُك؟

- النصب والاحتيال؟

- أنتَ حرامي؟

- كلا؛ أنا رجل دين.

- لم يعد الأمر مُختلفًا عندنا!

إلى متى نبقى نؤبِّن، نُشيِّع، نواري الثرى، وندفن، لماذا نحن ما زلنا غير قادرين على صناعة الحياة؛ وفنانين في صناعة الموت؟!

هل ظننتم أنَّنا فُطرنا ونحن نبتهل على أبواب العيد الموصدة من الفرح؛ صحيح أنَّ العيد على الأبواب، لكن ذلك لا يعني أننا مغمورون بفرحتنا، كيف ونحن ندفن لا نُحيي، نواري لا ننقذ، لعل الناس هنا صائمة عن أكل لحم البقر أو الغنم؛ إلا إنها فاطرة حتى اللحظة على أكل لحوم الناس!

شعبٌ ما زال يعاني البحث عن علاج لداء النقرس، ومرض السمنة وهو مُفرط ومُتخم في أكل لحوم الناس بشراهة!

معلومة أخلاقية لا طبية:

أيها الناس حذارِ من الإفراط بأكل لحوم الناس فهو سبب رئيس لأمراض الجُبن والخناثة والترهُّل وعمى البصيرة والجور والعنف والتطرف الوبائي والانفصام الشخصي وأمراضٍ نفسية أخرى!

أيُّها الصائمون؛ ابقوا على صومكم، أفواهنا ما زالت مُشبعة بالصُّراخ، ترفض إفطار القهقهة ونحن ندفن أشلاءنا في محيط منازلنا، وفي صحن الدار؛ فمقابرنا في حدائق البيوت، ليس لأننا نريد السكن إلى القُرب من ذوينا، وإنما لأننا لا نجد أرضًا صالحة للدفن!

كل شبرٍ في بلادي مَقبرةٌ ومَسلخ ومَجزرة، وكُلٌّ يقولك لك أنت عبلة وأنا عنترة! فيما لا تصلح أرضنا إلا للنفاية والمزابل والسكراب!

دعونا أعداء علنا نتصالح يومًا بعدما تنقشع تلك الغيمة الدينية المخيمة بجهالتها من فوق عقولنا، بعض العداوة أرحم من الإخوة!

كإخوة يوسف، أو قابيل لهابيل!

لا أريد إخوة على نمط قابيل - وإنْ كانت إنسانية بحتة -؛ حتى لا أكون هابيل جديدًا!

***

- هل بدأت المسرحية "التراّجيـــ - كوميديا" على خشبة المسرح الدمويِّ في بغداد؟

- باقي قليل من الوقت.

- هل بدأ الرقص على موسيقى التأبين؟

- بانتظار الراقصة في طريقها إلينا!

- هل حضر نصير شمه ومارسيل خليفة؟

- الآن هم في خلف الكواليس للإعداد ديوتيو "مقطوعة جنائزية"!

- هل الرقص الصاخب جدًّا؟

- العاهرات يتأملن ذلك!

- هل فاحت رائحة الجنس من أجسادنا المُبتلاة سرائرها؟

- ما زالت رائحة الفطائس والبارود حاضرة!

- لقد اشتقتُ إلى الجريمة؟

- لعل القاتل أشوق؛ فهو ما زال يتحكم بمقود سيارته، يلف ويدور حول مسرح الجريمة، لربما يبحث عن مكان يركنها أو موقف يتوقف عنده!

هل بدأت المسرحية "التراجيـــ - كوميديا" على خشبة المسرح الدموي في بغداد، هل بدأ الرقص على موسيقى التأبين، هل حضر نصير شمه ومارسيل خليفة .. هل بدأ الرقص الصاخب فعلًا .. هل فاحت رائحة الجنس من أجسادنا المبتلية سرائرها، لعل هناك من يتأملنا بصمت .. لعل هناك جمهورًا غامرًا، جاء وفي نيتهِ أنْ يضحك ويرقص ويلهو ويُرفه عن نفسه وعائلتهِ، لتغيير أجواء كبت الروح، لكنهُ فوجئ بالرقص على طريقة بغداد تكبير صلوات مع الرقص الماجن!

بدأ الجمهور ممتعضًا، كأنهُ يُصفق داخل غُرفة مُسدلة الستار، مجبور لأن يُصفق لأنهُ بالأساس جِيء به لمهمة التصفيق حتى لو كان المشهد مبتسرًا!

أهزلُ ما يكون هو أنْ تصفق على شيءٍ تافه، فكأنما أنتَ تُصفق لخصمك لينتصر عليك وأنتَ تُحييه على هزيمتك .. تشدُّ من أزر الفاجعة؛ ما أوجع هذا الشرق!

***

- المُلثم يحوم حول المسرح؟

- الانتحاري: أنا على مَقربةٍ مولاي وشيخي!

- يبدو الصيد طريًّا.

- وتبدو الحواري أكثر طراوة!

***

المجتمع الذي ما زال يُفكر بالشهوة لن يصحو من الغفوة مهما يكن الانفجار مدوِّيًا، إني لأعجب على بشرٍ رغم دوي وضخامة الصوت وهم يفجرون أنفسهم فيما لا يصحو الضمير فيهم، أي أمة هذه؟!

- أمة الفيس بوك؟

- كلا، أمة تويتر.

حتى تغريدات تويتر منمقة بلغة القرون الهجرية الأولى.. لعل الطيور قادمة من كهوف الفتنة الكبرى أو من مغارات العقل المُلتحي!

ذلك المُجرم المُلثم يجلس وراء ستار المسرحية كأنهُ "مُخرج مسرحي"، يمسك روبوت التحكم بيديه، يبدأ بتوجيه وتقسيم الأدوار، يجعل من الكلب بطلًا، ويعطي الذئبَ دورَ الكومبارس، مُتخفٍ بقناع مُلتحٍ، بقيافة بليدة ولحيةٍ عصرية لكنها تبدو كثة - أو على الأقل - تشعر بأنها بليدة رغم اهتمامهُ بها، حتى البطل والكومبارس والمُنتج والموزع وكاتب الشارة والكوافير والشسوار والمعلق لا يعرفون من هو ذلك المُلثم، ربما يكون امرأة بهيئة رجلٍ افتراضيٍّ صنعتهُ أيقونات العولمة!

بغداد أوجع مسرحية في التاريخ الفني وأفجعها، وأطول مسرحية من حيث المشاهد والفصول والأدوار والأبطال، عشرات بل مئات، بل آلاف الأبطال في المشهد المسرحي اليومي، ومع ذلك نعاني هيمنة الجُبن والنَّذالة؛ ما النفع من البطولة إذا كانت الرجولة مؤثثة بالأنوثة! إذا كانت الرجولة فياغرًا قبل الجريمة!

بكل فصاحة لسان ولغة ضاد أصرخُ وأعولُ؛ من أجل التابوهات المُنتهكة، أرفع يد الظلم من فمي وأصرخ بجدارة وتمردٍ، ليست

الرجولة مصانعنا، كُل بطولاتنا على أبناء عمومتنا، وفحولتنا بأشباقنا المُحرمة، أمجادنا حُبلى، ومراجلنا خُنثى لولا حبة فياغرا!

كُن (كومبارس) في مشهد الخير، وأرفض دور البطولة في مشهد الجريمة، غامر وارفض ذلك مهما يكن العرض مغريًا، والشهرة على الأبواب، بعض الشهرة تعطي معنًى مُقاربًا للفضيحة!

وطنٌي يبالغ في فجوره؛ والحُزن يراودهُ نفسه؛ وهو ثيبٌ مُذ الطفولة! يعيش "في علاقة مفتوحة" مع نفسه!

وطني كومبارس من الدرجة الرديئة؛ والشعب يلعب دور البطولة، كُل يوم فيلم رُعب ومسرحية ساخرة، ويدفن جُثة ويواري ثراها لكن ليس قبل أنْ يلتقط صورة "سيلفي" معها! أو إلى جانب حُطامها المُهشم زُجاجهُ!

احرصوا على السيلفي؛ ألبوم صور عَبِقُ بالذكريات .. الأمة لا تذكر من مجد سوى الصور والسيلفيات المجيدة! بات العرب تاريخًا مُختصرةٌ أمجادُهم وانتصاراتهم بالسيلفيات!

الكرادة تحت القصف، تحت النار، تحت الرّماد، تحت البارود، تحت رحمة الله؛ انصروها بالدعوات الصادقة في الفيس بوك.

عرق العمل الشاق في الدردشة يُقلل من دماء الفاجعة؛ احرصوا، رابطوا، هنا الجهاد المُقدس؛ سدوا الثغور، حافظوا على طلبات الصداقة من نساء الفيس بوك، لكن حذارِ من النيران الصديقة!

أوصيكم بالسيلفي؛ الصورة بـــ "هاشتاك" والـــ "لايك" بعشرة أمثاله؛ مارك زوكربيرغ يضاعف التعليقات لمن يصور سيلفياتٍ أكثر(!) تبًّا لما تصنعون! الكرادة تحت النار؛ وأنتم تحت السرير!

***

لماذا ندرس التاريخ ونحن ندرك أنَّ كاتبيه هم مجموعة مزورين يَرْوُون قصصًا سمعوا عنها ولم يعيشوها.

نقلوها لنا سرقة علمية" كما تُنقل الجُثة من سيلفي إلى سيلفي!

أو هي بالأساس مُجرد مرويات يعني من القدامة والترّاث؛ التاريخ حاوية أنقاض من يعمل بها نطبق عليه قانون الخدمة البلدية!

بعد كُل هذه الدماء والجُثث الراقصة على مسرح الجريمة في حفلات تأبين صاخبة إني لأخشى أنْ يكون هذا المسلسل الدموي الذي يفتك بنا؛ مسلسلًا بدويًّا مُدبلجًا!

(6)

الكومبارس يَلعبُ دَوْرَ البُطولة!

ما زال يلعب دور البطل (الهيرو) وأحيانًا يلعب دور (الكومبارس)، - أو هو الكومبارس بعينه - ليس هناك ثوابت عنده في اللعبة القذرة، في برميل القُمْامة لا يسأل الحيض عن زائدة الختان؛ كلاهما في نفس المركب، ونفس المصير، كُل ما يدور في عقل الجلاد هو الوصول إلى "خرطوش نفسي" لإطفاء حرائق رغبات مَنْ أنابوه لهذا الدور البطولي رغم أنوثتهِ!

من هذا الذي ما زال يتحكم في مصائرنا، كأنامل تحرك البيادق العاجية على رُقعة الشطرنج؟! الكرادة أبيض وأسود، لعبة شطرنج خاسرة؛ أميطوا اللِّثام عن وجهة الحقيقي، ارفعوا قِناع المُلتحي، صرخة من أجل التابو المُنتهك، المُقدَّس يعاني الانتهاك !- لا تسدلوا الستار عن قاتل طفولتنا، إنْ فعلتم ذلك فأنتم المسؤولون عن ضحايانا!

- لا أحد يرد، أظن أنَّ الكثيرين مستفيدين من ذلك الدور الذي يلعبهُ هذا المسخ الغريب.

- الساكت عن الحق شيطان أخرس.

- يبدو أنَّ تعدادنا بلغ الثلاثمائة مليون شيطان أخرس!

- وقد نزيد في الربع الثاني من القرن الحادي والعشرين؟

- وما سبب الزيادة؟

- الاغتصاب بفتوى والزواج، الفندقي، والزنى بالمحرمات!

- مَنْ ينقذ الشَّرف منا؟

- ليس إلا راقصة في مَلهًى مُحترم أو عاهرة خلوق!

***

أيها الناس من مات في "مول الكرادة" ليس "مليكان عاجي" مصنوع من البلاستك أو الرُّخام، من مات حفيد بغداد، وابن بغداد، ونساء بغداد؛ ألا تعلموا أنَّ كُلَّ حرفٍ من اسم بغداد بألف معنى صهيوني!

- يرد صوت غريب مقهقهًا بضحكةٍ صفراء أعتقد أني سمعتُها من قبل، أو كادت تبدو لي كذلك، صوتًا مشحونًا بلهجة عنيفة، تعبر عن واقعة الضحل، المسرحية بدأت، وربما سيكون الجمهور ضحايانا، نحن نُنفذ أوامر الأٰلهة، والسماء تمدنا بالذخيرة الحية والعتاد!

- نرتعب قليلًا، نجفوا من الريبة، تُصيبنا خيفة مما يقول ويدلي، صوت مُتلبد بغيوم الخيبة، وضوء خافت يُراقص مخاوفنا في مشهد

أسود كعباءة حشمة، يحاول تهيئة الأجواء وشد الأنظار بعصابة القتل!

.. أجمل المسرحيات التي تنتهي بدون قطرة دمع واحدة!

أبو طبر البلطجي "أسطورة عراقية معروفة لها تاريخ إجرامي في القتل وسفك الدماء وإرعاب الناس بأسلوب غريب، معروف بشياكة لبسهِ وأناقتهِ ووسامتهِ، وطريقة جديدة للذبح وهي الطُّبر- أي البلطة- يعود لشوارع بغداد مرةً أخرى، بنسختهِ الجديدة؛ من أنتجهُ هذه المرّة، كم قبض من ثمن بالدولار ليُغير على مبادئنا، يا إلهي! طفولتنا بحاجة لرعاية وأولياء الأمور منشغلين برعاية الإرهاب!

بغداد تحتضنها المناحات، تواسيها المآتم، تُعانقُها المداخن، والرعب أفلام هوليوود بنسختهِ الحية، والقاتل "توم كروز" بطل في فعل المنكر!

ما زال هناك رجلٌ مشبوهٌ تحوم حوله الشكوك دون ملمس خيط جريمة، أو يلعب دور "الرجل الغامض"، قد يكون أنثى، أو مُخنثًا، أو رجلًا مثليًّا "جنس ثالث"، ما زال يلعب الدور بجدارة، يتخفى بـــ شابو تارة، وعمامة معاصرة تارةً أخرى، بين فترة وأخرى يظهر إلينا بحلةٍ جديدة، وستايل جديد، يُذكرني دومًا بقصة أبي طبر الأسطورة الخرافة التي أرعبت سكان بغداد زهاء عشرين عامًا مضت!

من أنتج أبا طبر بنسختهِ الجديدة؟ ماذا يُريد منا؟ أليس من حقنا أنْ نعيش بسلام، أسوةً بالآخرين؟ مَنْ خوَّله بسرقة أثاث فرحتنا؟!

أنا شخصيًّا لم أُخوِّلْه عند كاتب عدل، أو أقدِّمَ له تعهدًا خطيًّا بحق التلاعب بحقوقنا!

***

العالم كُله يجلس على طرفي لحية، هذا يُكفر هذا، وهذا يُخرج من الملة، وذاك يُخرج من الملهى .. أصبح دخول وخروج الملة لا يختلف عن دخول وخروج سوبر ماركت، يجري بمحض إرادة وعلى الرغبة و"الكيف" والمزاج .. وبين هذا وهذا صرنا نجهل مَنْ نحن ومن هذا، حرب لحايا ضد لحايا، .. أخشى على مارسيل خليفة من لحيته!

إذا كانت المشكلة في اللحية لماذا لا نحلقها؟! والبلدان العربية تشتهر في صناعة "الجوليت" الجاهز!

متى نحلق أذقاننا؟! لندرك بصيرتنا، ما أحوجنا لـــ "جوليت حلاقة جاهز" أو صالون لحلاقة العقل مهما تكن الأسعار باهظة ومكلفة، فهي ليس أكثر كلفةً مما نحن فيه من وجع ومن مخلفات تلك اللحى المحاصرة للعقل العربي!

وأنتَ تصد وجهك صوب بغداد تستقل سيارة أجرة أو باص سفريات باعتبارك مسافرًا داخل الوطن أو هاربًا منهُ إليه؛ بغداد الخلافة والخِلاف، السلام والسلاح، الأموال والأموات، تذكر أنْ تجلب علبة منديل مُعطرة، فالأحياء مُكتظة بالموتى، والطرقات مَرصوفة بالجُثث، الموت هناك مشروع مقاولة، الموت مقاول أرواح

الإحالات بالجُملة، وبعطاءات مناقصة وأقل الكُلفة، الدم هناك في أرض السواد أرخص من عُلبة الماء وأكثر من البيبسي كولا (!)، وكأس الخمر أغلى من قالون دم بأضعاف!

إعلان في أمانة العاصمة بغداد؛ الحاجة لعمال خدمة لبلاطات الوطن؛ على ألا تقل خبرتهم عن عشرين عامًا في مجال الدفن، جُثثنا في العراء تحتمي بالشمس، وتستأنس بالسيلفيات!

- عامل خدمة: كم المرتب الشهري؟

- الموظف: راتبٌ مُغرٍ يصل لألف دولار شهريًّا.

- وقت العمل؟

- أربعٌ وعشرون ساعة؟

- أليس الوقت كثيرًا

- لعلك تستطيع إسعاف الجُثث!

- وأين ندفنهم؟

- كُلٌّ أدفنه في مكانه حيث تعثر عليه في شوارع المدن، هو وأسماله ومحفظة نقوده!

- أين المقابلة؟

- السفارة الأمريكية!

رغم فوح رائحة الجنس والمُنكر وتصاعد روائح الجُثث المتفسخة والبارود والدم، فإنَّ رائحة المؤامرة تبدو أكثر حضورًا في عالمنا!

هنا بغداد المآذن تعول، والكنائس تدقُ أجراس الخطر، وسيارات الإسعاف لا تتزّود بالوقود إلا من محطات لتعبئة الدم وبأسعار تنافسية!

كُل شيء في بلادي يجري بطقوس إسلامية بحتة، التهديد والوعيد والتنفيذ والذبح على الطريقة الإسلامية والشنق، والتعليق، والسلخ، والتمثيل بالجُثة، إلا الدفن فإنه يجري على طريقة الهنود حرقًا بالفتاوى!

بغداد تحترق بسيجارة مارلبورو وعود ثقاب، بغداد تعطب فيها القيم، والنيران تُهشم زجاج التاريخ وقرميد المجد ورُخام الحضارة، أيها المُغيثون، المنجدون، لا نحتاج إلى مياه عذبة لإخماد الحرائق؛ أسعفونا بمياه حياء (!)، فالأخلاق هي من تحترق فينا والقيم!

وأنتَ ما زِلتَ تستقلُّ سيارة الأجرة تتجوّلُ في بغدد لنُزهة في شوارع الجُثث.. تقرأ قبل دخولك بوابتها الشرقية أو الغربية قطعة دلالة كبيرة كحجم المعاناة: .. بغداد مدينة الموت؛ تُرحب بكم!

- هيجل وشوبنهاور وبقية الرُّكاب: نرحب بك أكثر!

- القتلة كِرام وأهل جود وأبناء طيّ في ضيافتكم، فهم يقدمون لكم أطزج اللحوم البشرية وأكثر طراوة من أطباق سحرية فاخرة!

- شوبنهاور: أفضل لحمًا مشويًا بجُثة مذبوحةٍ على الطريقة الإسلامية!

- هيجل: أرغب بجُثة محشوةٍ بفتوى!

وبقية السياح لا يختلفون عن رغبات فلاسفتهم الكبار!

***

- بغداد مدينة الموت تُرحب بكم.

- بغداد مدينة الجُثث تُودِّعكم!

كُل شيءٍ في بغداد مَبْعَثٌ للخوف، للرُّعب، بغداد فيلم رُعب لن ينتهي بموت البطل أو انتصار الكومبارس، فكل يوم يولد بطلٌ وكومبارس وقاتل .. مُشكلة بغداد أنها تشتهر في صناعة الموت!

إن هنا أرواحًا من أجل المِران والإحماء تَحسُّبًا لهرولةٍ مفاجئة .. فكُل واحد منا في هذا الوطن على وشك الهروب.. حتى المعاقون والمشلولون مطالبين بالإحماء من أجل الهروب.. شعبٌ مُذ فجر السلالات هو يعد العُدة لماراثون سباق للنجاة من فتوى!

يصهل بعنفوان كأحصنة رهانات؛ يطفر حواجز الفرار، بحذوة من فولاذ.. السباق هنا ليس حقول أحصنة.. بل نحن نصهل هنا في ماراثون داخل حقول الألغام؛ إنْ لم يبتر قدميك هذا اللَّغمُ فذاك أحظى بك؛ وإنْ لم ينالك ذاك فلن تنجو من غيره؛ فالفتاوى هي حقول الألغام!

ونحن نعدو فيها لمجهول؛ لا ندرك عُمقُ نهايته وحجمه.. النهايات دومًا موجعة، لكنها مُفيدة من أجل خميرة لبدايات أُخَر لم تُفض بكارتها بعد على يد جلاوزة الإرهاب ومصاصي الدماء بقصبة!

(7)

النَّصُّ المَفقُود

- الآن انتهيتُ من كتابة النص (؟)والآن مات النصُّ فجأة!

- مُدهش ما يحدث لنا.

- العولمة رثة؟

- كيف؟

- سارعت في إحداث كُل شيء فينا، حتى الموت بفضل العولمة صار يحدث بلمحة عين!

- أتضامن معك على رثاثة العولمة.

- حتى الفرح نالت منهُ العولمة .. لم نهنأ بها حتى نفتقدها!

- من ينقذ الإنسانية منا!

كان قد أنجز كتابه كاملًا بعد جمع المصادر والمعلومات والقراءة التي تسبق الكتابة والتدقيق والتنقيح الذي يسبق الطبع والإخراج فلم يُبصر النور؛ لعلهُ كتابٌ أعمى أو حَوَلٌ في الطفولة!

بعد العُزلة التي طالت أشهر كوقت زمني لإتمام كتابه (العقل العربي الملتحي) الذي عدهُ كصرخة لإنقاذ التابوهات المُنتهكة، تعب وشقيَ وسَهِرض؛ ألم ونضال وتفكيرٌ مُفرط، سافَرَ وارتحلَ وجابَ مدنًا وأوطانًا، من أجل الحصول على كتاب واحد كان يسافر لبيروت ويُقيم في الحمراء أو الأشرفية مثلما حصل معه في الحصول على كتاب عن أوليفيه روا، أو جورج قرم، ويعود ليسافر للقاهرة للحصول على كتب سيد يسين أو نصر حامد أبو زيد أو مُراد وهبة أو غيرها، أو يُسافر لدمشق في خِضم الحرب والدمار والخراب والقتل على الوطن من أجل الحصول على أعمال مُلهمةٍ الروح في الكتابة محمد الماغوط العصفور الأحدب، والبدوي الأحمر الذي ظل بدويًّا حتى في عصر العولمة (!).. يعود لبغداد، تفجعه الازدحامات المرورية الخانقة ليس على طريق بغداد الدولي الرابط بين بغداد والعاصمة الأردنية عمان، .. وإنما على طريق الموت!

بغداد شوارع مؤدية إلى السماء مُزدحمة بالقتلى والضحايا، وأولاد الخائبات، حركة سير مرورية شبه منتظمة وعلى أعلى جاهزيتها؛ فاجعة الكرادة تتزامن مع الانتهاء من كتابه الذي عُدَّ بأنه رواية إنسانية وأخلاقية يَنصح بقراءتها للعقول الراقية، ويُحذر الأطفال

الصغار من تناولها أو تداولها، كما ينصح الالتزام بالتعليمات الصحية على ظهر الغلاف، والتوضؤ بعد قراءة كُل نص منها؛ فهي حُزنٌ في ضوء القنابل، وزيارة ميدانية لمقبرةٍ تعجُّ بالأحياء، وعويل لا هوادة به!

كُل شيءٍ فينا مرفوع عنه غطاء الحشمة، أصبح الشرف فقط في القصص والروايات الصفراء القديمة، حذارِ من أنْ تدليَ بتصريحٍ عن الشرف وأنتَ في مرقصٍ ليليٍّ!

الانفجارات تنهتك بالتابوهات، تنال من القيم، تبعث رسالة طمأنينة لضمان الفتنة مراسلة لجلاوزتها، جبابرتها الذين تلاعبوا بها والذين سرقوا قداستها وأضفوها على جباهم وعمائمهم، أطفال ذهبوا لشراء ملابس للعيد، فعادوا بأكفان للموت!

من جعل العيد نُزهةً للموت، وسياحة شرعية في رحاب الضحايا؟!

- بالمؤكد هو القاتل مَنْ فعل ذلك؟

- بالعكس؛ نحن من فعل ذلك؟

- كيف كان ذلك؟

- لأننا قبلنا أنْ نلعب معه دور هابيل!

القتلة عرفوا بتوقيت ذهاب الأطفال والشبان والصبايا للمولات؛ نعم، لأنَّ العيد للأطفال فقط؛ عدَّ المجرمون العُدة لاقتناص ضحيتهم؛ لبسوا الأسود تعبيرًا للحداد على موت ضمائرهم، فتلوا أذرعتهم،

هزوا شواربهم نخوة للموسادات، أتأكلون لحم الطفولة وأنتم صائمون!

فالناس في وطني هنا لا يأكلون لحم الخنزير لأنهُ مُحرم وغير مذبوح على الطريقة الإسلامية؛ فيما يُحلُّون أكل لحم الانسان نيئًا وطازجًا؛ لأنه على الأقل مذبوح على الطريقة الإسلامية بسيارة مفخخة أو سيفٍ من ذخيرة الفتنة الكُبرى!

كيف فقد عصام صرختهُ بعد أنْ استنفذ قواه والكثير من البصر والتعب والإرهاق؛ وبلحظةٍ غامرة تسقط حاسبتهُ على الأرض لتحرق "هارد الشاشة"، خزان المعلومات، الذاكرة العميقة الأثر، تسقط على البلاط لتتلقاها أحضان القدر، هذا مَنْ يزرع ولا يحصد، من يُسقي ولا يُروي، يشعر بالخيبة ينذهل، يكتئب، يذعره الخوف على مستقبل عمله الفكري، تكتب ولا تطبع؛ ما الفائدة من الكتابة إذن؟!

كيف لا وهو الذي استنفذ أموالًا طائلة، وأكثر استنفذ ذخيرة حية من شبابه تعبًا وأرقًا، السهر بوابة للأوجاع، ومكتبة قرطاسية لبيع دفاتر الأمراض المُزمنة!

إنَّ الكتّابة باهظة الثمن قد تودي بك إلى السجن، وأحيانًا إلى الموت، وأحايين كثيرة تأخذ منك العافية والمزيد المزيد من الراحة والسعادة!

خصوصًا لو كان الكاتب يمتلك قلمًا لا يصلح للتأجير، حبره دموع اليتامى والأمهات الثكالى!

يبكي على روايتهِ لأنها ولدت موءودة، لم تبصر النار (!)، أراد لها القدر أنْ تموت في رحمها، إسقاطًا أو إجهاضًا في زنزانة الأمومة!

ما بالك بمن فقد لذة حياته! الأطفال والشباب الذي اقتنصهم الموت وهو مدججٌ بالفتاوى المفخخة، وعتاد الشريعة، القنابل التي تسقط فوق رؤوسنا لا تحمل سيفورًا أو بارودًا مُسيّلًا للدموع أو مُهشمًا للكرامة، وإنما تحمل تكبيرات قتلى، والكثير الكثير من الفتاوى والعمائم والخوذ والابتهالات والأذكار؛ متى يعي الناس أنَّ القاتل فينا فتوى!

أيها الناس لا تبكوا على ضحايانا، على أطفالنا، على قتلانا، بل انعوا موت الضمير فيكم، والبسوا السيّان حداد على موت الكرامة!

أيُّها الناس أوقفوا التزيف الراعف في بالوعات الضمير باعتقال المؤسسة الدينية أو ترميم جعادة وجهها المُزيف بـــ (فوتو شوب) السيلفيات، والإطاحة بالشابوهات التي ضللت الدين علينا!

الدين بحاجة لثورة، لمارتن لوثر عربي ومُسلم، لقد أساء إليه رجاله المراهقون، آنَ لنا أنْ نُعاقب كُل من نال منهُ، والعقوبة هي حلاقة اللحية بشفرة عمياء!

أيها الناس القاتل ليس بشرًا؛ أو أبا طبر المُلثم بخيبته .. القاتل فينا فتوى دينية؛ يراودنا الموت كُل لحظة بنشوى مراهقًا شبقًا ..

هيت لكم إعلان اعتقال الفتاوى، جففوا بقع استصدارها، حاربوا الظلام بمصباح ديوجين، ولا تقولوا لنا إنَّ ديوجين كافر أو ملحد، فمهما يكن كافرًا ومتشدّقًا بالإلحاد فهو أرحم من الكثير منا نحن الذين نُصلي خمسة فروضٍ على أتم وجه!

***

هههه يهزلني صمتي، لماذا نتألم على فقدان كتّاب، ونحن مُذ سنين فقدنا عُذرية كرامتنا في ملاهي الحياة، وحاولنا رتقها بخيوط التديُّن في مساجد ضرار.. فما أضفنا للبكارة إلا عارًا جديدًا وشهرة بطعم الفضيحة!

كان الله في عون وطنٍ لا يجد الوفرة في الأعلام والبيارق ليُكفن فيها أبناءه شهداءه؛ بدورنا نطالب من هنا بمعامل وطنية لصناعة أكفان بلون الوطن!

أيتها المرأة العربية لا تعشقي عراقيًّا؛ فنهايتك أرملة حرباء ثكلى، وثوبك أسود للحداد؛ فالرجال هنا خُلقت للموت والقتال، والنساء للعويل!

عجبتُ من شعبٍ يرى الموت في عينيه، ثم يواصل المسير لطُرقات محفوفةٍ بالمجهول أولها تهديد ونهايتها موت، دون التوقف، أو النظر بمرايا جانبية لضحايا الموت المترامية كغابةٍ من نخيل، الرجال هنا تسخر من الموت، وتتوعَّده بالملاحقة البوليسية حيثما يخبو ويهرب!

***

مرّ قبل يومٍ واحد في الكرادة قادمًا من الجادرية إلى الباب الشرقي في باصات (الكيا بريجو) قاصدًا تضييع الوقت أولًا، وشراء بعض الكتب التي قد تسدُّ رمق جوعه وهو على مائدة إفطار قراءة يومي مآدبه طويلة من الكتب والروايات التي مات أبطالها وصار معيلهم الوحيد! لا صوم ولا جوع؛ لمح في أحد محلات كرادة داخل (أرخيته) المُزججة قميصًا أحمر في "المَليكان" لفت نظرهُ كثيرًا، راودهُ من حيث درجه لونه والجذابية التي تُثير نظر الفتيات، حاول النزول من الباص لولا العطش الشديد في حضرة الصيام.

في تلك الأثناء اجتمعت على طاولة معدته رمضان الصيام والحر البغدادي القاتل؛ أو أُلقيَ القبض على شهوته للحياة متلبسةً بالفجاجة، فقرر أنْ يعود غدًا لاقتناء ذلك القميص الأحمر!

أخرج هاتفه النقال ليتصل بـــ "علي":"كان الاتصال بلهجة بغدادية عريقة عمر "عظماوي" - أي من أهالي مدينة الأعظمية - من قُدامى بغداد، وعلى "كظماوي" - أي من أهالي مدينة الكاظمية - أهل بغداد الأصل".

- أهلًا حبيبي علاوي؟

- هلو عموري الورد؛ "شخبارك"؟

- بخير، "اكلك لكيت ملابس تجنن بالكرادة، شوكت نروح نشتري ملابس للعيد".

- "عموري صوتك متقطع، وينك" .....

لم يرد؛ حاول عمر أنْ يحصل علي، وعلي عمل الأمر نفسه مع عمر، لكن الشبكة على ما يبدو ضعيفة في بغداد؛ صائمة عن التحديث والتقانة والتطور! لعل التقنية أعطت الأجساد وصادرت منا المشاعر .. لم يعد للحُب والمشاعر قيمة في ظل مصانع تعجن الإنسانية لتُطعم شهوة أفواه المادة!

انقطعَ الاتصالُ؛ لعل أحدهما يحصل الآخر لاحقًا، وهو ما حدث فعلًا، فيما ظل القميص الأحمر يراود "عمر" نفسه يُقدم له تسهيلات المُغريات ومُقبلات التبضع كتسويق تجاري؛ بعض الناس الذواقة تعشق الألبسة كأشياء قبل شرائها هكذا هم الفنانون في الأذواق!

يجب أنْ اغتنم الفرصة قبل العيد للحصول على ذلك القميص بأيِّ ثمنٍ!

عُمر مرآة علي، وعلي مرآة عُمر، أحدهما مليكان للآخر؛ يرتدي من خلاله ملابسه ليرى مظهرهُ فيه تلك هي الصُّحبة والصداقات

العفوية، وليست صداقات الفيس بوك بضغطة زر تشطب تاريخًا من المشاعر الجيَّاشة وتعدم ثورة من الحنين، أو نقرة واحدة تلغي قصة حبٍّ دامت أشهرًا أو أعوامًا؛ وكأن الحب يعني علاقة الماوس بالكيبورد!

تصور أحيانًا يتصل علي بعمر في ساعة ظهيرة تموزية أو شتاءٍ قارص - تلك هي فصولنا المتعاقبة أزمانها على دورة الحياة اليومية - أو وقت غير مناسب ليبلغهُ بأنهُ وجد قميصًا أو جاكيتًا أو بنطلونًا أو (سكارفً) ويُريد أنْ يعطيه رأيهُ به، فيناديه؛ تعالَ بسرعة أنا أنتظر عند محل مهدي للألبسة في شارع بابِ الدروازة، عمر يقطع مسافات من أجل تلبية رغبات علي في إسعاد ذائقته، هكذا هم البغداديون تاريخٌ من التلاحم، وسجل حافل بالمواقفِ الشريفة، عزة النفس، والتضحية، والفداء والإباء، والالتزام بالعادات الحسنة، مهما تتكالب العولمة، يبقى جيل بغداد حيًّا يزخر بالمراجل.. إذا كانت بغداد مصنع الرجال .. فأمريكا مصنع الفياغرا!

ولهذا أراد الأوباش كسر شوكتنا، حاولوا أنْ يزجوا بمس الطائفية للتفريق بين المرء وزوجه، والأخ وأخيه، وما ذلك الشابو المُلثم، الذي ما زال يجلس على أريكة تهزُّه رياح الفتنة، بتراتبية وهو يمضغ تفاح أعناقنا بحفاوة!

لعل أمريكا ليست بطلة العالم في التمثيل في الأفلام السينمائية؛ بل زد على ذلك إنها بطلة العالم في التمثيل بالحضارة!

عمر وعلي؛ أقسما ألا يُفرقهما أحد مهما يبلغ العالم من ضحالة وانحلال وتردٍّ أخلاقيٍّ، الإنسانية معيار الصداقة، بدون إنسانية يُستحسن أنْ تسمى المُجتمعات بحديقة الحيوانات الناطقة؛ وأنصح بزيارتها كُل جمعة للترفيه واصطحاب الأسرة والأطفال؛ محاولة لتغيير الجو العائلي الممل!

الصداقة الحقيقية تسمو فوق كُل الانتماءات، فما النفع بقريب يعقر، أو ابن عم يُنكل، أو بن خال ينهش بلحمك شبقًا، لا تثقوا بوسائل الإعلام فهي الطريق الآمن الذي يؤدي بك لوسائل الإعدام!

احذر أنْ تكون وجهًا إعلاميًّا؛ في وطنٍ الأسوأ به على حياة الإعلاميين والصحفيين!

متى يدرك الناس أنَّ الصديق والأخ وابن الطائفة من يحترمك ويوقرك ويدافع عنك في غيبتك! أسئلة العرب اليوم كُبرى، أكبر من حجم تفكيرهم وأكبر من عقولهم المراهقة.. والأمة أمام امتحان صعب، والأنباء تؤكد تسريب الأسئلة الامتحانية مقابل صفقة سياسية!

الطائفية وأخواتها بيت شرف وعائلة قذرة؛ احذروا الاقتراب منها؛ حتى لا تُسيء إلى سمعتكم!

غردوا خارج السرب؛ على تويتر مثلًا!

ارقصوا وافرحوا وغنُّوا لكن بعيدًا عن مراقص الدم، وبعيدًا عن أغاني وأناشيد الطائفية، فسور الطائفة هو ليس إلا ثغرة أمنة للاختراق والنفاذ وتوغل الأعداء للنيل منا، إنْ فقدانك لصديق، يعني كسب خصمك لعدو شرس ومناضل عقائدي من الطراز الأول!

احترس في تعكير صفو صداقتك؛ حافظ على لياقة بدنية عالية ومرانٍ أخلاقيٍّ مع الأصدقاء، وإنْ كان صداقات افتراضية، فهي أهون من لا صداقة، فشر البلاد لا صديق بها، كما قال مُتنبينا! احذر من عدو مجهول، قد لا يكون له حساب جارٍ في بنك الحياة!

حذارِ من الاستماع لخُطبة ضرار، فإنَّ خطيب الفتنة قد يُكسر وضوءك بلمس عورة صوته لمسامعك، أو يُبطل صلاتك بالنَّظر إليك بعين حقد وكراهية، فهو جاء بما لم يأتِ به الله أو السماء (!).. محور الطائفية اليوم: صدق الله وكذب رجال الدين!

رغم المحن وعاديات الدهر، والصعاب التي مرت بها بغداد فإنَّ المتبغددين "عمر" و"علي" لم يتفارقا، برغم المجازر، والمآتم، و"الملاحم الأنوثية" التي مزّقت بغداد كرخًا ورصافة، من هولوكوست إسلامي، وحرب عرب ضد عرب، وإسلام ضد إسلام، فإنهما قررا برجولة، أنْ يقفا إلى الحياد من هذه الحرب اللعينة، فليس من الشرف أنْ نقتل بعضنا! نعم من الشرف أنْ نموت تضحية من أجل بعضنا البعض!

أيُّها الثوار والمناضلون والمجاهدون والجلادون والإرهابيون والانتحاريون والمُفخخون إنَّ قتلنا بعضنا بعضًا ليس من الرجولة، وإنما من الفياغرا!

عمر وعلي، كرخ ورصافة، لا أحد يمكنه أنْ يعزل بغداد طائفيًّا، وإنْ وضعوا الكتل الكونكريتية من خلال رافعات أنقاض الكُتل السياسية ببناء "الجيتوات الإسلامية" داخل المجتمع الإسلامي! فالمحن والصعوبات قد تزيد اللحمة قوة وصلابة، فهما تجاورا كقباب الأئمة يفصلها جسرٌ حديديٌّ، ويربط بينهما جسورٌ فولاذية من الإيمان والعقيدة والعبادة والإنسانية والإخوة الدينية!

يُعانقا بعضهما عناق أحبة، يرددان قسم الصلاة، يتلوان لحنًا سماويًّا واحدًا، يُكبران بمآذن ينادي بعضها بعضًا، ليس هناك أجمل من عناق قباب ضريح الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) والإمام أبي حنيفة النعمان (رضي الله عنه)، بغداد بدون قباب الأولياء لا تكتمل وسامتها!

تآخيا بالإخلاص، وتعاهدا على المحبة ميثاق شرف للوفاء، لم يدعا ثغرة شاغرة لتوغل السياسة أو الحزب أو الطائفة بينهما، كانا كالوطن أكبر من الطائفة، ليس هناك من يقوى على زعزعة العلاقة بينهما، حتى في أوج الفتنة التي حاول القتلة إحراق بغداد بحادثة "جسر الأئمة" كان عمر أحد الذين أسعفوا زوار الإمام وإنقاذ من يمكن إنقاذه، وتقديم الإسعافات الأولية للخنقى أو الغرقى والمصابين،

وعلي كان هو الآخر كزائر يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، كلاهما قلَّلَ من حجم الخسائر الجسيمة فوق جسر الأئمة، إنَّ المشاركة الشكلية في التقليل من حجم الكارثة أهون بكثير من الجلوس في مقصورة التاريخ كمشاهد أعور!

كانا على اتصال تلفوني مستمرٍّ، ونظرًا لإغلاق الجسر سنوات كانا يلتقيان في مقهى البيروتي في "الشالجية"، أو يذهبان لشارع الرشيد أو يقضيان بعضًا من وقتهما في أي مقهًى شعبيٍّ في العاصمة بغداد؛ كرضا علوان2 مثلًا.

- ماذا تعني لك الطائفة؟

- سياج يحميني؟

- وهل تظن الطائفة الأخرى وحشٌ مُفترس؟

- الطائفة صورت لنا ذلك؟

- إذا كانت كُل الطوائف تُفكر بنفس عقليتك، ستأكلون بعضكم بعضًا، وستُعمر القبور بجثثكم!

- لا أدري؟

- كل طائفة سياج، عشرون طائفة يعني عشرون سياجًا، وعشرون قبيلة بعشرين سياجًا، وعشرون عائلة بعشرين سياجًا،

---

2 مقهى فاخر أو كافيه معروف في الكرادة، قريب من محيط الانفجار، يرتاده الفنانون والأدباء والرسامون والشعراء والصحفيون والمبدعون.

كيف ستتصور الوطن أكثر من سياج داخل سياج داخل سياج، ألم يعطِك هذا المشهد صورة معبرة للسجن أقرب من الوطن؟!

- السيلفي حلال أم حرام في فقه طائفتكم؟

- حرام.

- ونحن أيضًا كان مكروهًا وصار حرامًا! فهو بدعة ولم يعمل به أمراء القبائل .. ألا تعتقد أنَّ رفض السيلفي هو الوحيد الذي أجمعت عليه طوائفنا!

- لنلتقط سيلفي رغم أنوف الطائفيين!

إذا كان السيلفي مُحرمًا، والناس مجنونة بالتقاط الصور، ماذا لو كان السيلفي مباحًا وحلالًا في فقه الطوائف؟!

ليس الشرف أنْ تدافع عن طائفتك ضد الحق، قمة العار إنْ فعلتَ ذلك؛ والشرف والعفة أنْ تدافع من أجل إنقاذ إنسانيتك من جور الطوائف واستغلالها وهتكها لها؛ كُن جنديًّا في رهط الحق، وارفض منصب القدوة في فوج الباطل مهما تكن العروض مُغرية!

***

لعل أحدهما يتصل بالآخر؛ لم يحدث ذلك، ربما نسيا أو تناسيا أو أشغلهما عطش أو جوع رمضان، أو أنهكت عزيمتهما سوء وتردي الخدمات، في وطن يبذخ الأموال على التنمية والتطور، فيما الأمن يهدر في منْحدر مدوي، أخشى أنْ يكون الوطن مُصابًا بداء السُّكري!

كثيرًا ما تساعد الأزمات والحوادث والأخطار على رصِّ الصفوف وتمتينها وسد الثغور والتّلاحم المصلحي؛ إلا في وطني الكبير بمعاناته إذ اعتقدَ السَّاسة والنواب أنَّ اللُّحْمة الوطنية طازجة وتصلح للأكل فنهشوها بضراوة، وحينما أدركوا أنَّ الخطر الداهم على كراسيهم وليس على الشعب، ضحوا بالشعب من خلال التمسك بالكراسي، لا أدري لمن صُمْمت الكراسي؟ هل صُنْعت للمعاقين أم للمعافين؟!

***

الكُتب في وطني تحترق، وبعضها وقود لحارق يوقد مواقد الفتنة، حتى المصاحف لم تنجُ من المحرقة، بعض السور صارت وقودًا للفتنة، إني ألمح يد امرأة أبي لهب بعورتها تُمدُّ النار بالحطب، ولا أحد ينهاها! يا إلهي! كيف أصبحت القراءة والكتابة في وطنٍ عَلَّم البشرية حروف الأبجدية، تُهمة!

لماذا أصبحت الكُتب لتعالي ألسنة دُخان الفتنة، بعد أنْ كانت لتعالي ألسنة المثقفين!

لقد فقدنا كتّابًا ووطنًا وكسبنا فاجعة بحجم التاريخ؛ الكرادة فخامة الحُزن تكفي!

يروى في الأحاديث النبوية أنَّ صوت الديوك ليلًا هو بُشرى بمرور طيف ملائكة، أما صوت الحمير فهو يوحي بمرور شياطين، فماذا لو كان صوت انفجارات هل يعني ذلك غير الشياطين البشرية خفافيش الظلام؟!

- الفرح صائمٌ في رمضان؟

- إنهُ يُراعي مشاعرنا كوننا مسلمين؟

- لماذا يبدو لنا أنَّ الفرح نقيض الإسلام؟

- لأنَّ المتطرفين هم مَنْ صَنع تلك المعادلة.

- تبًّا لهم؟

- بل تبًّا لنا؟

- لماذا؟

- لأننا قبلنا بهم أمراء قبائل علينا!

***

في كُل صباح قاحل نستيقظ من ركامنا على صوت انفجار عارض أو فاجعة جديدة مدوية أو أحيانا على صوت ثكالى نافرات في الحُزن ضامرات في الفرح، لقد حفظت مكبرات الصوت أسماء قتلانا وبُحَّ صوت المؤذن من مُناداة الموت وأتعبنا كاهل الدفان!

يا حادي الموت؛ بلغ القاتل بلادي ترفض العيش بذلٍّ، وترفض الموت بذلٍ، إننا اخترنا طريقنا للحياة، إننا اخترنا الموت من أجل الحياة!

***

وما إنْ يحاول البعض أنْ يُطربنا بصوتٍ نشاز لفنان هابط أو صاعد للحضيض يحاول إقناعنا بصوته وهو يهزج بفلكلور شعبي؛ وكثيرًا ما تداهم سكينتنا مكبرات صوت المساجد وهي تُشيع أو تعلن استشهاد ضحية في غمار الوطن، بات الوطن يصرف مواطنين كُثر! وكأنَّ المساجد هنا خُلقت للإعلام والدعاية والترويج وليس للعبادة والصلاة بالسماء!

لم تكن الكرادة آخر الحياة، ولا أول الموت، الكرادة صليبٌ ممتد، وألف مسيحٌ يُجلد على قارعتهِ كُل يوم؛ من اختار الكرادة ليوقظنا هذا الصباح؟

من قطع أعناق الديوك واستبدلها بمكبرات صوت القنابل (؟!) الديوك للملائكة، والحمير لشياطين الإرهاب!

ليس الإسلام من يُقتل في بغداد بدمٍ بارد كالكاكولا؛ فحتى المسيحية تُغتال بيدٍ مسيحية بكوكولا ثانية أو سفن أب مثلًا، مثلما الإسلام يُقتل بيدٍ الإسلام، إنَّ الباحثين في القُمامة لن يزيدوا مجدهم إلا قذارة!

الوطن الذي لا يسعه لملمة أنقاضه بجدارة، هو لا يحتاج إلى حاويات أنقاض، وإنما فقط يحتاج لترميم أقذاره!

"فادي، عمر، علي، حسين، عثمان، بولص، رزكار .. يوحنا، وجورج، وعباس، وبكر، سجاد.. إلخ" شتتهم الطائفية ووحَّدهم الموت والوطن!

حتى الموتى أفهم منا وأكثر إدراكًا لفلسفة الحياة، الموتى يتوحَّدون، .. والأحياء يمارسون فاحشة الفتنة دون حياء!

حاول سائق الشاحنة المُلغمة (الانتحاري) المُفخخ بالعتاد الديني والبارود والفتاوى المحشوة بـــ "الصجم" والمسامير والزجاج أنْ يفجر نفسه ليخلق فجوة جفاء ويمزق الوحدة بين طوائف الشعب؛ كان جُل تفكيره هو أنْ يُكسر قطعة الموزاييك إلى شظايا متناثرة لكي يرضى عنه صاحب الشابو المُلثم الجالس على أريكة التاريخ وهو يبلع دخان المارلبورو وينفث سمًّا عقائديًّا لكن سرعان ما اكتشفَ أنَّ هذا السراميك أو الموزاييك الوطني مصنوع من الرِّخام وجرانيت فاخر منحوت بالحديد والنار، مُطرز بالنقوش الإسلامية يصعب اختراقه أو تكسيره، حتى الضحايا يُعانقُ بعضُهم بعضًا عِناقَ المحرومين تحت ضوء الانفجارات!

***

إنَّ فِقدان العذرية أهون بكثير من فِقدان الإنسانية؛ فالعذرية يغسلها قانون العار، أما فقدان الإنسانية من يغسل وساختها، والمُنظِّفون هم مصدر الوساخة والوكيل الحصري لتزويد القمامات بالنفاية! بينما ما زال هناك الكثير يعتقدون أنَّ غسيل الملابس قد يُطهر الأرواح؛ لو كان الأمر كذلك لما احتجنا لهذا الكم من حاويات الأنقاض وعقود شراء المساحيق الأمريكية الصنع وكاشف الزاهي!

نحن بنو العرب .. بين غسيل الدماغ، وغسيل الأموال، وغسيل الأموات، وغسيل الملابس، تصدرنا قائمة الدول الوسخة (!)، أمة منشغلة بالقذارة أكثر من انشغالها بالطهارة!

***

يبدو أنَّ الدين في أزمة، إنهُ يعاني رجاله؛ الدين في خطر اتركوهُ بعيدًا عن متناول الأطفال الفقهاء فهم لم يبلغوا سن الفقه بعد!

من ينصر الدين ونحن نخون النص؟ ومن ينقذه والحامي فينا حرامي؟ والحارس الأمني باع مفاتيح المدينة للصوص، مقابل علبة فودكا حلال!

الحُب والفودكا والموت.. هل يلتقيان بظنكم؟ الحُب لا يتحدد بفئة عمرية، والفودكا ليست بالضرورة خمرة مصنوعة في معامل مشروباتٍ كحولية، والموت لا يعني أنْ تغدو جُثة؛ الحُب قد يأتيك في سن الشيخوخة، والفودكا قد تكون كأسًا من الدم الشهيد، والموت موت الإنسانية؛ الحُب وحده القادر على تحريم هذا النوع من الفودكا، وإيقاف عجلة الموت؛ أتظنون أنَّ الحُب ما زال مُقدسًا في بلد النيران الصديقة؛ في وطنٍ اشتُهِرَ بصناعة الكراهية!

الحُبُّ يشبه الموت في بلادي؛ أو الحُب كالموت، فهما لا يتحددان في فئة عمرية واحدة، كُل الأعمار ضحاياهم!

بعد رحيل العُمر، لا أعتقد أني سأحتاج إليكِ.. ما قيمة أنْ تعودي إذا ماتَ الشوق في قبو الروح واُغتيل الاشتياق محرومًا من عناق،

الحُب لحظة، كالفكرة، كالرّصاصة التي تخترق حاجز الصمت، فإنْ جاءت متأخرة قد لا تجد مكانًا لتجلس، أو تغدو حالة إعجاب لم ترتقِ سُلم الحُب قط!

أيُّها الحُب لماذا قتلت الشوق في قلبي، لماذا جعلتني أعانق حبيبتي تحت نار القصف ونحن نعدو في شوارعَ مُزدحمةٍ بالجُثث والخوّذ، بغداد لا تعاني طفحًا المجاري، أو اكتظاظ المياه الآسنة، وإنما طفحَ الدماء في المجاري، أمانة العاصمة معذورة عما يحصل فينا من غرق الشوارع؛ فالإرهاب يُريد أنْ يُجعد وجه الحياة فينا! ويُريد أنْ يقتل الحُب فينا .. الحُب في شرعهِ جريمة كُبرى يجب أنْ تنفذها محاكم التفتيش الإسلامي!

أيُّها الحُب لماذا جعلتني أشمُّ في قميص حبيبتي رائحة البارود!

أريدُ "الدهْل"، والـ"212"، "الرومانتيك" و"البلو"؛ وقائمة طويلة من أفخر العطور الفرنسية والتركية والإنجليزية، أكره عطور العزاء، أمي دافتها في مهدي، وعطروني بها بدل "بوطرة" الطفولة .. أكره عطور العزاء وإنْ كُنت سيدًا في الحداد، ألبس السواد لحية وعيونًا مُذ الولادة!

عن نفسي أتحدث أنا .. فأنا أرتدي الحداد مُذ الطفولة، عيونًا، ولحية، وشاربًا ما زال يتقطر حُزنًا على ذكريات الطفولة ولا أجد غير راحلة الحنين!

مرةً أخرى يُعانقنا الموت بغبطة؛ يثغرنا بشفاه مُتشظية من زُجاج وبارود ومسامير وقطع غيار، يوميًّا أسمع بماراثون بغداد، ماراثون القاهرة، ماراثون دمشق، ماراثون القدس، ماراثون صنعاء، ماراثون الرباط؛ أوطان تُشجِّع أبناءها على مران الهرولة تحسبًا للهروب!

إنَّ العاهرات المُرخَّصات تتآمر علينا والمسوخ البشرية يظهرون إليها من كُل صوبٍ وحدبٍ، يعاقرون التاريخ، يلوثون الجُغرافيا، يختطفون الزهور من الحدائق بأسياف شاردة، ليتركوا الحياة بلا نكهة طفولة!

ما أوجع الحياة بدون سعادة! لماذا يقتلوننا؟ لماذا يريدون هتّك حُرماتنا؟ إنَّ قتل الإنسان زنا بالمحارم أما الزنا بالمحارم فهو إنسانية الإنسان المعاصر (!).. أليس من حقنا أنْ نعيش؟! أليس من حقنا أنْ نحيا؟!

أيُّها الشرف أنتَ أول متهم في قتل طفولتنا، عُد لعواهرك الليلية، لملاهيك الفجة، لصخبك وموسيقاك التأبينية، واتركنا نُقيم في مقابرنا المؤثثة، كنازحين!

أيها الفنانون كفُّوا عن تمثيل أدوار الكوميديا والتراجيديا، فالقتلى والمجرمون أحفاد هوليوود بإجادة الدور!

أيُّها المطربون كفُّوا عن الغناء عن الوطن، ما نحتاجه هو الاستغناء عن الوطن وليس الغناء! ما الذي قدمتموه لنا عقودًا من الحنين

والرقص والهز والغناء عن الوطن والنتيجة نُغتال وتهمتنا حُب الوطن؛ أي وطن!

لعل أكثر الناس حُبًّا للوطن، هم من يخون!

يا سُرّاق الدين وتجار الشريعة كفُّوا عن اعتلاء المنابر، وعن تسلق المحاريب، وانشغلوا بتسلق أشجار القبيلة، أنتم أقل من أن تعتلوا منابر، فمنابر الفتنة للأقزام لا للقامات الطوال!

كُل يوم يفزعنا صرخة تابو منتهك، ولا أحد فينا يُعيد بكارةً مُغتصبة، أمة تشتهي فض البكارات، أمة يعجبها الاغتصاب، لتتاجر به.. بئس الأثمان والأرباح.. أمة زانية بمحرماتها "شبقًا" الوطن يُشجع على المنكر تسويقًا إعلاميًّا.. كيف لا والمجلات الخلاعية في وطني الأكثر مبيعًا من كُتب التربية والأخلاق!

الآن من قلب الفاجعة، من محيط الحدث، يُصرح الصمتُ فينا لوسائل الإعلام بأنَّ كل ما يحدث فينا، ناجم عن أزمة أخلاق وضمير مُستتر بالدين!

أيُّها النخبة والساسة والمسؤولون وصُناع القرار، قد شبعنا خطابات وطنين ذباب، نوشك أنْ نتقيأ تصريحًا لمسؤول أو خبرًا لزعيم، لولا علبة السفن أب، شكرًا لمعامل الأغاريت على إسعافنا في كُل مرة!

وطني لا يحتاج لرجال؛ وإنما يحتاج لفياغرا، تُحيي الرجولة فينا !

وطني يَرقدُ في غرفة العناية المُركزة، ممنوع الزيارات وممنوع الهدايا(!) لهذا لم يزرنا أو يواسِنا إخوتنا، ربما حفاظًا على مرضنا!

تركونا وحدنا نبكي ونمسح دموعنا بفوط الأمهات الثكالى برتابة!

الكرادة تحت النار، بل بغداد مدينةٌ تحت النار، وكُل العواصم العربية تحت النار، والعالم أجمع ينازع تحت النار، وأنامل تضغط على "زناد العود" لتتراقص على موسيقى الفاجعة، ردحًا عربيًّا مدفوع الثمن، حينما يبدأ الرقص الصاخب فإنَّ أرخص ما يكون لحم الإنسان! الموت منفذ حكومي لبيع اللحوم البشرية، والطابور طويل وطويل هذا دليل على أننا نعاني مجاعة عيش!

المراقص مسلخ جماعي ومحل لبيع اللحوم البشرية بسعرٍ بخس!

كُل العواصم العربية تحت النار، لا يوجد هناك وطن عربي تحت النور، كُلنا نتعانق تحت النار، كالمحرومين بح بهم جود الاشتياق .. من أين يأتينا النور ونحن فانون في إطفاء شموع الميلاد!

أيُّها المُعزون كان يجدر بكم أنْ تُخمْدوا المحارق في حقولنا بدلًا من إطفاء شموع الميلاد!

ونحن نوقد الفتنة بحطب الجاهلية، أرضنا رماد في رماد؛ وقائمة طويلة من أعداد الضحايا تصلح عنوانًا لمقبرة تدخل موسوعة غينيتس للأرقام القياسية!

(8)

الكرادةُ تَحتَ النَّارِ

يُروى في الأحاديث النبوية أنَّ صوت الديوك ليلًا هو بُشرى بمرور طيف ملائكة، أما صوت الحمير فهو يوحي بمرور شياطين، فماذا لو كان صوت انفجارات هل يعني ذلك غير الشياطين البشرية خفافيش الظلام!

_ الفرح صائمٌ في رمضان؟

_ أنهُ يُراعي مشاعرنا كمسلمين؟

_ لماذا يبدو لنا أنَّ الفرح نقيض الإسلام؟

_ لأنَّ المتطرفين هم مَنْ صنع تلك المعادلة

_ تبًّا لهم؟

_ بل تبًّا لنا؟

_ لماذا؟

_ لأننا قبلنا بهم أمراء قبائل علينا!

في كُل صباح قاحل نستيقظ من ركامنا على صوت انفجار عارض أو فاجعة جديدة مُدوية أو أحيانًا على صوت ثكالى نافرات في الحُزن ضامرات في الفرح، لقد حفظت مكبرات الصوت أسماء قتلانا، وبُح صوت المؤذن من مُناداة الموت، وأتعبنا كاهل الدفان!

يا حادي الموت؛ بلغ القاتل بلادي ترفض العيش بذُلٍّ، وترفض الموت بذلٍّ، إننا اخترنا طريقنا للحياة، إننا اخترنا الموت من أجل الحياة!

***

وما إنْ يحاول البعض أنْ يُطربنا بصوتٍ نشاز لفنان هابط أو صاعد للحضيض يحاول إقناعنا بصوته وهو يهزج بفلكلور شعبي؛ وكثيرًا ما تداهم سكينتنا مكبرات صوت المساجد وهي تُشيع أو تعلن استشهاد ضحية في غمار الوطن، بات الوطن يصرف مواطنين كُثر(!).. وكأنَّ المساجد هنا خُلقت للإعلام والدعاية والترويج وليس للعبادة والصلاة بالسماء!

لم تكن الكرادة آخر الحياة، ولا أول الموت، الكرادة صليبٌ ممتدٌّ، وألف مسيحٍ يُجلد على قارعتهِ كُل يوم؛ من اختار الكرادة ليوقظنا هذا الصباح؟

مَنْ قطع أعناق الديوك واستبدلها بمكبرات صوت القنابل (؟!) الديوك للملائكة، والحمير لشياطين الإرهاب!

ليس الإسلام من يُقتل في بغداد بدمٍ بارد كالكاكولا؛ فحتى المسيحية تُغتال بيدٍ مسيحية بكوكولا ثانيةٍ أو سفن أب مثلًا، مثلما الإسلام يُقتل بيد الإسلام، إنَّ الباحثين في القُمامة لن يزيدوا مجدهم إلا قذارة!

الوطن الذي لا يسعه لملمة أنقاضه بجدارة، هو لا يحتاج إلى حاويات أنقاض، وإنما فقط يحتاج لترميم أقذاره!

"فادي، عمر، علي، حسين، عثمان، بولص، رزكار .. يوحنا، وجورج، وعباس، وبكر، سجاد.. إلخ" شتتهم الطائفية ووحَّدهم الموت والوطن!

حتى الموتى أفهم منا وأكثر إدراكًا لفلسفة الحياة، الموتى يتوحَّدون، .. والأحياء يمارسون فاحشة الفتنة دون حياء!

حاول سائق الشاحنة المُلغمة (الانتحاري) المُفخخ بالعتاد الديني والبارود والفتاوى المحشوة بـــ "الصجم" والمسامير والزجاج أنْ يفجر نفسه ليخلق فجوة جفاء ويمزق الوحدة بين طوائف الشعب؛ كان جُل تفكيره هو أنْ يُكسر قطعة الموزاييك إلى شظايا متناثرة لكي يرضى عنه صاحب الشابو المُلثم الجالس على أريكة التاريخ وهو يبلع دخان المارلبورو وينفث سمًّا عقائديًّا لكن سرعان ما اكتشفَ أنَّ هذا السراميك أو الموزاييك الوطني مصنوع من الرُّخام وجرانيت فاخر منحوت بالحديد والنار، مُطرز بالنقوش الإسلامية يصعب اختراقه أو

تكسيره، حتى الضحايا يُعانقُ بعضُهم بعضًا عِناقَ المحرومين تحت ضوء الانفجارات!

***

إنَّ فِقدان العذرية أهون بكثير من فِقدان الإنسانية؛ فالعذرية يغسلها قانون العار، أما فقدان الإنسانية من يغسل وساختها، والمُنظِّفون هم مصدر الوساخة والوكيل الحصري لتزويد القمامات بالنفاية! بينما ما زال هناك الكثير يعتقدون أنَّ غسيل الملابس قد يُطهر الأرواح؛ لو كان الأمر كذلك لما احتجنا لهذا الكم من حاويات الأنقاض وعقود شراء المساحيق الأمريكية الصنع وكاشف الزاهي!

نحن بنو العرب .. بين غسيل الدماغ، وغسيل الأموال، وغسيل الأموات، وغسيل الملابس، تصدرنا قائمة الدول الوسخة (!)، أمة منشغلة بالقذارة أكثر من انشغالها بالطهارة!

***

يبدو أنَّ الدين في أزمة، إنهُ يعاني رجاله؛ الدين في خطر اتركوهُ بعيدًا عن متناول الأطفال الفقهاء فهم لم يبلغوا سن الفقه بعد!

من ينصر الدين ونحن نخون النص؟ ومن ينقذه والحامي فينا حرامي؟ والحارس الأمني باع مفاتيح المدينة للصوص، مقابل علبة فودكا حلال!

الحُب والفودكا والموت.. هل يلتقيان بظنكم؟ الحُب لا يتحدد بفئة عمرية، والفودكا ليست بالضرورة خمرة مصنوعة في معامل مشروباتٍ كحولية، والموت لا يعني أنْ تغدو جُثة؛ الحُب قد يأتيك في سن الشيخوخة، والفودكا قد تكون كأسًا من الدم الشهيد، والموت موت الإنسانية؛ الحُب وحده القادر على تحريم هذا النوع من الفودكا، وإيقاف عجلة الموت؛ أتظنون أنَّ الحُب ما زال مُقدسًا في بلد النيران الصديقة؛ في وطنٍ اشتُهِرَ بصناعة الكراهية!

الحُبُّ يشبه الموت في بلادي؛ أو الحُب كالموت، فهما لا يتحددان في فئة عمرية واحدة، كُل الأعمار ضحاياهم!

بعد رحيل العُمر، لا أعتقد أني سأحتاج إليكِ.. ما قيمة أنْ تعودي إذا ماتَ الشوق في قبو الروح واُغتيل الاشتياق محرومًا من عناق، الحُب لحظة، كالفكرة، كالرّصاصة التي تخترق حاجز الصمت، فإنْ جاءت متأخرة قد لا تجد مكانًا لتجلس، أو تغدو حالة إعجاب لم ترتقِ سُلم الحُب قط!

أيُّها الحُب لماذا قتلت الشوق في قلبي، لماذا جعلتني أعانق حبيبتي تحت نار القصف ونحن نعدو في شوارعَ مُزدحمةٍ بالجُثث والخوّذ، بغداد لا تعاني طفحًا المجاري، أو اكتظاظ المياه الآسنة، وإنما طفحَ الدماء في المجاري، أمانة العاصمة معذورة عما يحصل فينا من غرق الشوارع؛ فالإرهاب يُريد أنْ يُجعد وجه الحياة فينا! ويُريد أنْ يقتل الحُب فينا ..

الحُب في شرعهِ جريمة كُبرى يجب أنْ تنفذها محاكم التفتيش الإسلامي!

أيُّها الحُب لماذا جعلتني أشمُّ في قميص حبيبتي رائحة البارود!

أريدُ "الدهْل"، والـ"212"، "الرومانتيك" و"البلو"؛ وقائمة طويلة من أفخر العطور الفرنسية والتركية والإنجليزية، أكره عطور العزاء، أمي دافتها في مهدي، وعطروني بها بدل "بوطرة" الطفولة .. أكره عطور العزاء وإنْ كُنت سيدًا في الحداد، ألبس السواد لحية وعيونًا مُذ الولادة!

عن نفسي أتحدث أنا .. فأنا أرتدي الحداد مُذ الطفولة، عيونًا، ولحية، وشاربًا ما زال يتقطر حُزنًا على ذكريات الطفولة ولا أجد غير راحلة الحنين!

مرةً أخرى يُعانقنا الموت بغبطة؛ يثغرنا بشفاه مُتشظية من زُجاج وبارود ومسامير وقطع غيار، يوميًّا أسمع بماراثون بغداد، ماراثون القاهرة، ماراثون دمشق، ماراثون القدس، ماراثون صنعاء، ماراثون الرباط؛ أوطان تُشجِّع أبناءها على مران الهرولة تحسبًا للهروب!

إنَّ العاهرات المُرخَّصات تتآمر علينا والمسوخ البشرية يظهرون إليها من كُل صوبٍ وحدبٍ، يعاقرون التاريخ، يلوثون الجُغرافيا،

يختطفون الزهور من الحدائق بأسياف شاردة، ليتركوا الحياة بلا نكهة طفولة!

ما أوجع الحياة بدون سعادة! لماذا يقتلوننا؟ لماذا يريدون هتّك حُرماتنا؟ إنَّ قتل الإنسان زنا بالمحارم أما الزنا بالمحارم فهو إنسانية الإنسان المعاصر (!).. أليس من حقنا أنْ نعيش؟! أليس من حقنا أنْ نحيا؟!

أيُّها الشرف أنتَ أول متهم في قتل طفولتنا، عُد لعواهرك الليلية، لملاهيك الفجة، لصخبك وموسيقاك التأبينية، واتركنا نُقيم في مقابرنا المؤثثة، كنازحين!

أيها الفنانون كفُّوا عن تمثيل أدوار الكوميديا والتراجيديا، فالقتلى والمجرمون أحفاد هوليوود بإجادة الدور!

أيُّها المطربون كفُّوا عن الغناء عن الوطن، ما نحتاجه هو الاستغناء عن الوطن وليس الغناء! ما الذي قدمتموه لنا عقودًا من الحنين والرقص والهز والغناء عن الوطن والنتيجة نُغتال وتهمتنا حُب الوطن؛ أي وطن!

لعل أكثر الناس حُبًّا للوطن، هم من يخون!

يا سُرّاق الدين وتجار الشريعة كفُّوا عن اعتلاء المنابر، وعن تسلق المحاريب، وانشغلوا بتسلق أشجار القبيلة، أنتم أقل من أن تعتلوا منابر، فمنابر الفتنة للأقزام لا للقامات الطوال!

كُل يوم يفزعنا صرخة تابو منتهك، ولا أحد فينا يُعيد بكارةً مُغتصبة، أمة تشتهي فض البكارات، أمة يعجبها الاغتصاب، لتتاجر به.. بئس الأثمان والأرباح.. أمة زانية بمحرماتها "شبقًا" الوطن يُشجع على المنكر تسويقًا إعلاميًّا.. كيف لا والمجلات الخلاعية في وطني الأكثر مبيعًا من كُتب التربية والأخلاق!

الآن من قلب الفاجعة، من محيط الحدث، يُصرح الصمتُ فينا لوسائل الإعلام بأنَّ كل ما يحدث فينا، ناجم عن أزمة أخلاق وضمير مُستتر بالدين!

أيُّها النخبة والساسة والمسؤولون وصُناع القرار، قد شبعنا خطابات وطنين ذباب، نوشك أنْ نتقيأ تصريحًا لمسؤول أو خبرًا لزعيم، لولا علبة السفن أب، شكرًا لمعامل الأغاريت على إسعافنا في كُل مرة!

وطني لا يحتاج لرجال؛ وإنما يحتاج لفياغرا، تُحيي الرجولة فينا !

وطني يَرقدُ في غرفة العناية المُركزة، ممنوع الزيارات وممنوع الهدايا(!) لهذا لم يزرنا أو يواسِنا إخوتنا، ربما حفاظًا على مرضنا!

تركونا وحدنا نبكي ونمسح دموعنا بفوط الأمهات الثكالى برتابة!

الكرادة تحت النار، بل بغداد مدينةٌ تحت النار، وكُل العواصم العربية تحت النار، والعالم أجمع ينازع تحت النار، وأنامل تضغط على "زناد العود" لنتراقص على موسيقى الفاجعة، ردحًا عربيًّا مدفوع الثمن، حينما يبدأ الرقص الصاخب فإنَّ أرخص ما يكون لحم الإنسان! الموت منفذ حكومي لبيع اللحوم البشرية، والطابور طويل وطويل هذا دليل على أننا نعاني مجاعة عيش!

المراقص مسلخ جماعي ومحل لبيع اللحوم البشرية بسعرٍ بخس!

كُل العواصم العربية تحت النار، لا يوجد هناك وطن عربي تحت النور، كُلنا نتعانق تحت النار، كالمحرومين بح بهم جود الاشتياق .. من أين يأتينا النور ونحن فنانون في إطفاء شموع الميلاد!

أيُّها المُعزون كان يجدر بكم أنْ تُخمْدوا المحارق في حقولنا بدلًا من إطفاء شموع الميلاد!

ونحن نوقد الفتنة بحطب الجاهلية، أرضنا رماد في رماد؛ وقائمة طويلة من أعداد الضحايا تصلح عنوانًا لمقبرة تدخل موسوعة غينيتس للأرقام القياسية!

***

(9)

السِّباحةُ في بُحيرةِ الجَهْلِ والحَضَيض

في مُحاورةٍ مُسجَّلة، لعلي وعمر، ساخنة بدرجة الحرارة في بغداد وضواحيها، وخافتة بهدوء كعود وشوارع بغداد قُبيل قصف مدفع الإفطار بدقائق، لماذا نمارس طقوس عبادتنا بقصف المدافع؛ هل هذه هي حجة المجرمين والقتلة من قصف بيوتنا الأمنة اعتقادًا منهم بأن الإسلام سينتشر بالمدفع كفروض الإفطار، ثم لماذا نفطر على صوت مدفع، ولا نمسك على صوت هاون تلطيفًا للجو؟!

المجرمون بدورهم ابتدعوا لنا ذلك؛ بدعة مُحدثة لإتمام شعائر دينهم الجديد!

كُل شيءٍ في عالمنا ساخن الماء، الأكل، الملابس، حتى المكالمات الهاتفية، ما خلا الدم، فهو يُقيم عطلةً مفتوحة في باندا!

- علي يتصل في الدردشة على شبكة التواصل الاجتماعي "الفيس بوك": أهلًا عمر؟

- "هلا بحبيبي عمري علي"

- "شونك على رمضان"

- "عطش وجوع بس راحة نفسية"

- "رمضان أبو الخير" و"الناس أهل الشر"!

- الله يتمم.

- "شنو برنامجك، اشتريت ملابس للعيد لو بعد"؟

- لا والله وانتَ؟

- "هماتين مرحت بعد؛ شنو رأيك نروح للمنصور، السوق العربي، الكرادة، زيونه"؟

- "شوكت نروح"؟

- "العيد قرب بعد ما ظل وكت، انته تدري الأسعار راح تغلا قبل العيد".

- "شنسوي هاي كل مره هيج"

- "عمومًا أنتظرك باجر نطلع بعد الظهر نروح للكرادة مجمع الليث التجاري".

(وكأنهما يختاران القدر بأنفسهما وبرضاء نفوسهم، أو بإيمان عقيدي!)

- "ها هي متفقين، باجر أنتظر تلفون اطلعلي أجيك من الكاظمية موعدنا يم جامع أبو حنيفة".

- "انتظرك حبيبي علاوي"

- "أوك حبيبي عموري".

لعل القدر موعد بلا موعد؛ لعل الموت ميدان تدور به الأقدار لتلتقي الأرواح وفق آليات تنظيم سير الأرواح في شوارع السماء، كُل شيء هناك مُنتظم وتراتبي، كُل شيءٍ هناك يخضع لقانون العدالة بدون مزايدات!

أجمل ما في المواعيد أنْ تأتي على غير عادتها، على حين غِرة، مواعيد طارئة، وأجملها تلك المواعيد العفوية دون تكليف أو ترتيب مُسبق، هذا هو الموعد الحقيقي رغم قساوتهِ، فجاجتهِ، يجمع المشارق والمغارب لحضور مأدبة طعام طازج علهُ يروي مجاعة الجلاد، أو يُطفئ شهوة ذلك الشابو من خمر الدم، ذلك القادم من صحراء التفكير يحمل عقلًا بدويًا وثقافة زراعية بما تعنيه من قسوة ومعناة وشظف العيش، ما زال يؤمن بأنَّ ركوب السيارة كفر بواح لأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يركب السيارة في حياته، في حين أنهُ نسي أنْ يركب حمارًا أو "بعيرًا مُفخخًا" لتفجير مجمع الليث التجاري!

عجبت لهذه الشعوب الغارقة في الجهل، السابحة في بحور ومستنقعات التخلف، إنْ سألتها ماذا تفعلين: تُجبك: إننا نغسل قذارتنا، نتطهر، ترى هل غسل القذارة بالقذارة طهارة!

أفتوني يرحمكم الله .. قبل أنْ تترحموا على موتِ القيم فيكم أيُّها الفنانون في لبس الحداد!

الجهلة يُحرّمون العلمانية لأنها بضاعة غربية، في حين أنَّهم يستوردون المفرقعات والقنابل والأسلحة والعتاد والبارود الأمريكي أو الروسي أو الفرنسي رغم أنهُ غربي النشأة، ومن دول تتربص الدوائر بالعرب والإسلام، أليس العقل العربي مدعو لحلاقة ذقنه إكرامًا للذائقة الأخلاقية، فقد عكرت مزاجنا مطاولاته وتأويلاته، ونالت منا فتاواه ما لم يناله محمد علي كلاي من لكمات أو كدمات!

تفسيرات الموتى لن تُحيي الأحياء، وإنما قد تميتهم؛ بل إنها تدعو الموتى لحضور مؤتمر مصالحة وطنية .. تفسيرات الموتى صهاريخ مُفخخة نالت من بغداد والخرطوم وبيروت وتونس ودمشق والقاهرة وعمان وكُل العواصم العربية.

لقد كان علي وعمر وفادي وكاكا شوان وعثمان أغا مدعوين للحضور على مآدبة إفطار في أرخيته عند "رضا علوان"، أو "فالح أبو العمبة"، وكان القدر بانتظارهم، وكان السيّاف يبري خناجره في حائط مبكى عويلًا صاخبًا؛ دموعه ماء توضأ به الجلاد، وصلى على قبلة واشنطن ركعتين وتسبيحة ودعاء!

فيما كان الجلاد المتألق في شابوهه يترقب سير المارة والعجلات بحذر شديد؛ يسمع ضجيج أسلفت الشارع "المُقيَّر" بالغفار وهي تعانق العجلات قُبل مُستعجلة، بُعيد الإفطار بقليل، مصاحب بهدوء يسبق العاصفة، ينتحل صفة شيخٍ مُسن أو متوسط الشيخوخة، وهو

في سن الثلاثين من عمره، كالربيع الذي يلعب دور الخريف في مواسم القتل!

شاخصًا ببلاهة منْ خلف نافذة أحد المباني الشاهقة وهو يتطلع سيارة الانتحاري يرقُب الحدث وهي تحاول التزوُّد بالوقود من محطة أبي أقلام ! كانت تتزَّود بوقود من الدم العراقي المحلي الفاخر!

لقد كان جالسًا في غُرفتهِ الخافتة الأضواء، كدكة لغسل الموتى قبل موتهم! كغُرفة تبديل ملابس راقصات.. كمترع ملابس أجيرة في ركنٍ من المرقص .. كُل شيءٍ هناك متشابهة إلى حد ما، الشرف والدعارة والرجولة ورائحة الجنس، المُنْكر والرّذيلة!

وفي فمه سيجارة "الجروت" أو المارلبورو تتناوب ذائقته بينهما، وعلى الطاولة قدح من الشاي القاحل، وجهازه النقال على مقربةٍ منهُ بحذر، يرّن بخيفة وارتباك، إذا ما زال حتى اللحظة على اتصال هاتفي ساخن مع الانتحاري، يُرقيه بالأحجبة والأدعية و"أذكار الانتحار"!

يحاول الشد من عزيمته، يَعِدُه بوجبة عشاء دسمةٍ مع أحد الأنبياء والأولياء، وفي أفخر مطاعم الجنة، يعدهُ المبيت بفنادق الجنة خمس نجوم!

ويحاول أنْ يُغريه بأنَّ الحُور الجميلات في انتظاره حتى اللحظة جالسات على مصطبات صالات الانتظار بحفاوة! مع شيخٍ مودرن لعقد القرآن على أجملهن!

يُقرئهُ تلاوات التلقين، وبعضًا من آيات السيف، أنقذ نفسك بقتل تلك المسوخ البشرية، وهذا الجمع الكافر، فالعالم يسير على خطأ وبحاجة إلى تصحيح، نفذ تعاليم السماء، كان السائق الانتحاري يتلو آيات القتال والانتحار نصوصًا دينية وسور تابو من خلال تلاوة وتجويد قراءات من كتاب "معالم في الطريق"!

من باع صكوك الغفران، ومفاتيح الجنة ووجبة عشاء فاخرة، وعقود زواج الحواري، عاش مُفلسًا، سكن في الجحيم إقامة، ومات جائعًا وأعزب!

***

المُلثم بلحيتهِ؛ يتطلع إلى "البلكونة" يطل على الشارع ليرقب سير المارة والسيارات صوب الهدف المرسوم؛ كالذي يُلاحق ظلًّا خافتًا، حتى العجلات هناك تبدو متعبة من السير، مُنهكة، صائمة عن مضغ أسفلت الشوارع!

حوار ساخن بين العقل المدبر وسائق الشاحنة الانتحاري؛ ربما سيكون آخر مهاتفة، بعدها ستتولى السماء مكالمَتهُ لا سلكيًّا!

- العقل المُدبر "صاحب الشابو المُلثم": لقد اختارتك السماء لهذه المهمة، أنتَ الآن ابن الآلهة! لا تنسَ تنفيذ وصية الرّب لا تخذل السماء، كُن ثابتًا على العهد كما كُنتَ.. فَجِّر نفسك بالكامل(!)، أنقذ الإسلام .. اقتل أكبر عددٍ من هؤلاء الكُفار!

- الانتحاري: مولاي هل أنتَ مُتأكد أنّي سأدخل الجنة؟

- المُدبر: وهل تشكك بأمر السماء أم أكذبُ عليك؟

- الانتحاري: أبدًا؛ ولكن ليطمئن قلبي!

- المُدبر: وبلغة دينية مترادفة ومسترسلة بآيات قُرآنية وأحاديث دينية ومرويات يحاول جذب الانتحاري لموقع الحدث، كمغناطيس تستقطب، الوعد الحق قادم!

- الانتحاري: لن أخذل السماء!

- المُدبر: سأغلق الهاتف الآن حتى أسمع تهليل السماء تنادي بأسمك! يُفرحني صوت النائحات الثكالى، إنهُ ينتقم لي من تاريخي المظلم، والدماء تغسل العار الذي خلفتهُ لي شجرة العائلة!

- الانتحاري: سؤال أخير: هل ما زالت الحُور في انتظاري حقًّا؟ وكم عددهنَّ؟ وما أسماؤهنَّ؟ وما أرقام تليفوناتهنَّ؟ هلا أعطيتني أرقام جوالتهنَّ!

- المُدبر: ستجد كُل شيءٍ على ما يرام وحسب طلباتك؛ يا وسيم الجماعة!

- الانتحاري: مولاي ألا تظنُّ أنَّ الناس القادمين إلى المُجمع هم ليسوا من طائفة واحدة، فأنا ألمح وجوهًا صليبية شقراء، وأخرى سُنية، وأخرى شيعية، وحتى كردية وتركمانية وشبكية ويزيدية، ألا يجدر بنا أنْ نؤجل السفر إلى الجنة اليوم؟!

- المُدبر: ومن قال لك إننا طائفيون! نحن لا نميز بين أسود وأبيض، هذا المجتمع كُله كافر ومُلحد وقابع بالفجور والرذيلة حسبما أشار إليه دستورنا طبعة واشنطن!

يواصل المُدبر الحديث ويسترسل الكلام: ثم إننا إنْ فجرنا المجزرة في طائفة بعينها فسوف ينكشف أمرنا، وتتضح خيوط الجريمة، "عفوًا خيوط الشهادة"!

- الانتحاري: سمعتك قُلت خيوط الجريمة؛ ماذا تقصد سيدي؟ هل قتل الناس جريمة فعلًا؟

- المُدبر: لا شيء أبدًا هو مجرد خطأ لفظي لا غير!

هنا الانتحاري بدأ يُشكك في نيَّات أميرِه والعقل المُدبر، ساوره الشك، يبدو أنهُ يلمحهُ من أحد الشُّرفات المُطلة على الشارع الرئيس؛ أو يُكاد، إنهُ يلمحه حقًا من خلال توصيفهُ له وإيماءة يديه، نبرة صوتهِ الخفيضة الغاضبة، وحمله للتليفون حتى تأكَّد له ذلك حقًا عندما تعمَّد قطع الاتصال، ومن ثم عاود مرة أخرى فلمحه يرد بتوقيت متزامن مع فتحه سماعة الصوت معه، نظر إليه جيدًا لمح إلى جانبه امرأةً سافرة، فارعة الطول، تبدو أنها نصف عارية ونصفها الباقي عاهة مُحجبة!

يجلسان في شُرفة شِبه عالية أو في الطابق العلوي يُغطي رأسه بشابو أمريكي، بدأ الانتحاري يشكك في نيا تالأمير أو وصل الأمر

لمرحلة متقدمة بذلك، كيف لهذا السيد يلبس الزّي الأمريكي وهو يندد بالغرب؟ وكيف يأخذ هذه "العورة السافرة" الفارعة الطول، وأنا لي حُوريَّاتي قد لا يأتين للمطار في استقبالي، أو قد لا أحصل على أرقام هواتفهن؟!

هناك مؤامرة، مُخطط أنا والآخرون مثلي ضحيتهُ، كيف لي إنقاذ نفسي، إنَّ الأمر أصبح خارج السيطرة، لم يعد أمامه العودة لذي بدء، بعض الأحيان يكون ثمن العودة أكثر كلفةً من ثمن المُضي في الاتجاه الخطأ!

يبدو أنهُ كشف المُخطط تمامًا، اتضحت خيوط الجريمة المحاكة بمغزل الفتنة بين الأطياف لتمزيق رونق الموزاييك الأخلاقي، لكن جاء ذلك بعد ضياع الوقت، ما فائدة النصر بعد الانكسار؟! ولا الشرف بعد فض البكارة؟! غسل العار لا يغسل إلا كلام الناس فيما يُبقي على بقع وندب الذل دون محوها من الذاكرة، الذاكرة تلاحقنا بعارها، ومجدها، مثل ذلك الشابو المُلتحي!

يبدو أنَّ غسل العار بمساحيق قوانين القبيلة هو مُجرد إرضاء البعض من المنمقين أو إسكات للألسنة الناس، أما العار فقد فاتهُ أنْ يُغسل!

الانتحاري يحاور نفسه: كيف يمكنني إنقاذ نفسي من هذا المأزق الذي أنا فيه، أنا في مُصيبة، يا إلهي! لقد أوهموني، ضحكوا عليّ،

خدعوني، يسأل الانتحاري نفسه: لماذا لا يُفجر نفسه من يُفخخنا؟ لماذا لم ينتحر مولانا الأمير؟ لماذا لا ينتحر أخو الأمير أو ابن أختهِ أو أحد أفراد عائلته المُقربين؟ لماذا لا ينتحر إلا أبناء الخائبات والمُغرر بهم والمخدوعون والمعاقون فكريًّا وجنسيًّا؟!

نعم إنهم يَعِدونهم بالجنة، فلو كان في الانتحار جنة، لماذا لا يسابقنا عليها الموالي ورجال الدين، أليس هو يجاهد من أجل الجنة فقط؟!

كيف نُبصر حقيقتنا ونتقدم والأمة ما زالت لا تميز بين الجنة والأجنَّة3 (؟!) فقتل الأجنة ليس طريقًا وحيدًا أو سالكًا لدخول الجنة!

لقد فات الأوان، إنهُ على مقربة من الهدف، مجمع الليث التجاري ومول الهادي سنتر المُعانقين أحدهما للآخر عمرانيًّا، والطيور تتوافد، الرحلة إلى الجنة بدأت النداءات إليها وطاقم الملائكة بقيافتهِ البيضاء يستعد؛ تبدو الرحلة متعبة؛ لهذا فالطاقم في زيادة على غير عادتهِ لأن المسافرين إلى الجنة هذه المرة قاربوا الألف أو جاوزتهُ بقليل!

استشعر الانتحاري المؤامرة، لكن ما الذي بوسعه فعله؟! وهو المُلغم، المحشو بالبارود، وساعة الصفر بدأت تنازع الوقت، وتسابق الريح، دقائق فقط تفصلهُ عن الموت أو عن الجنة، أصبحت الجنة عند البعض لا تعطي إلا معنًى للموت .. تبًّا لعقولكم المستعملة!

[3] علم الأجِنَّة (الأحياء) علم يهتمّ بدراسة أطوار تكوين الجنين في النبات والحيوان والإنسان.

هو يُلاحظ براعم الطفولة الجميلة تتوافد مع آبائهم إلى المول مشهد اختطف بصره وأعادهُ إلى (داليا) ابنتهُ التي لم يرها مُذ شهور تلت ذلك لانشغاله بالإعداد لرحلة إيمانية من أجل الدين وسفر من أجل الجنة!

تخيّل تلك الطفلة البريئة المرافقة لأبويهما أنها ابنتهُ، كُل شيءٍ يُذكرهُ بها تمامًا، وزوجته التي هجرها شهورًا ودهورًا، دون أنْ يسمع خبرًا عنها، فهل الجنة تحضُّ على تمزيق أواصر الترابُط الأسري، أو تدعوك لطلاق أو فِراق زوجتك وأنْ تهجر زوجتك أو تهدم عماد بيتك، أي دين ذلك الذي يهدم القيم من أجل القيم؟!

"أم داليا" زوجته التي هجرها، تعاود الاتصال بذاكرتهِ رغم غسيل الدماغ المُكثف الذي تعرَّض لهُ السائق الانتحاري، فهو ما زال يحتفظ ببعض صور العائلة في ألبوم ذاكرته، بكى في داخله، عول كأرملة، نعى نفسه وأنَّب حياتهُ، ما فائدة أنْ تبكي بعدما دخلت في العُمق من الحُزن؟ وما فائدة الفرحة بعد العويل؟ هل صحيح أني لن أرى ابنتي (داليا) ثانية، وزوجتي سترمل، وأمي سيثكلها غيابي؟ ما الذي أكسبه من الحوريات، زوجتي أجمل حوريات الأرض!

"ألا توجد طرقٌ أخرى بدائل إلى الجنة؛ بدلًا عن طريق الانتحار!"

سأتصل بالمُدبر: حاول أن أحصلهُ؛ بأي ثمن .. أعتقد أنَّ هناك خطأ في التأويل .. أو اعتماد تفسيرٍ ميت لواقع حيّ أو ما زال يتنفس من تحت الأنقاض.

- أهلًا سيدي؟

- ما بك "بملل"؟

- "بلهجةٍ لا تخلو من شجن" - بعد صحوة الضمير المتأخرة - إذا كنتَ قريبٍ من الهدف، ألا تشاهد هذه الأطفال البريئة، ألم يكن لديك أطفال صغار براعم تنبت في غصن الحياة، فالأطفال في حديقة البيت ورد بألف عِطر!

- يبدو أنك ليس ذلك الانتحاري الغليظ، صاحب العقيدة المتزنة؛ من أين أتتك الإنسانية؟ طريقنا مُكلل بالغِلظة والقوة والبطش، لا مجال للرحمة والإنسانية في خطنا القتالي.

- كلًّا، أنا بعينه، لكن يبدو أنَّ هناك خللًا في تأويل النص الديني، أعتقد أنَّ الانتحار على ذوينا اجتهادٍ خاطئ!

- من أنتَ حتى تُشكك بتأويل النص؟

- الاجتهاد ليس حكرًا على زيد دون عبيد؟

- ولكنه لا يحق إلا لعلمائنا الأفاضل والمشايخ الكبار رحمهم الله الإفتاء به!

- أنتَ قُلت رحمهم الله؛ فهذا يعني رحم الله تأويلاتهم، إنهم اجتهدوا وأفتوا لأمور ومشكلات حصلت في عهدهم؛ وربما لم تحصل اليوم أو تغيرت تلك الظروف بظروفٍ غيرها!

- لا تحاول إفساد رغبات السماء!

- هل السماء سترقص بمقتل الإنسانية؟

- أنا لا يهمني، الأوامر الرَّبانية تقول: نفذ ثم ناقش!

- ألا يمكن تأجيل الهجوم؟

- كلا؛ أبلغنا السماء بوصولك؛ وهم الآن في صالات الانتظار بقدومك!

- لا أريد أنْ أنتحر؛ أشعر بالخطيئة، ضميري يؤنِّبني.

قهقهقه المُدبر بحذلقة وضحكةٍ طويلة وصفراء سامة، وهو يداعب عشيقتهُ العارية من النصف إلى الكل؛ لن ينفعك ذلك بعد الآن!

- وما الخلل في ذلك؟ نؤجل الأمر حتى نتباحث في حقيقته.

- أنتَ الآن تحت رحمتنا، طفلتك وزوجتك تحت حراستنا وفي مأمنا نحن، لا تحاول اللعب معنا، أي خطأ في الهجوم ستلقى عائلتك حتفها؛ علاوة على حتفك!

(غالبًا ما يستعمل المجرمون أسلوب الابتزاز والمساومة؛ إما أنْ يوقعوك في فخ مُصيبة هم وضعوها لك ومن صنعهم فيمسكون عليك دليلًا حتى تتبع سياساتهم وتنفذ أوامرهم، أو أنْ يحتجزوا أحد ذويك رهينةً حتى تُلبي مطالبهم؛ أسلوب رخيص وعقل مُخنث)!

ذلك أسلوب ابتزاز الناس، وخداعهم، الإرهابيون فنانون في لعب دور سينمائي من إنتاج هوليوود!

ثم يُردف المُدبر ليسترسل بالقول: لا تنسَ أننا نمتلك نسخة من جهاز التحكم لانفجارك، يعني لا فائدة من التنصل من وعد الرب، أضف إلى ذلك إنَّ الأجهزة الأمنية لن ترحمك إذا اعتقلوك، أنتَ ضحية ضحية، الموت خيارك وطريقك يا صديقي، حاول أنْ تتمتع بصور سيلفي مع الحُور.. ولا تنسَ أنْ تبعث لي صورة لإحدى الحُور على الإنستجرام.. أو غرّد لي على تويتر.. ضحك المُدبر بزمجرة، وهو يستهزئ بحديثه مع الانتحاري؛ فأغلق سماعة الهاتف بوجههِ وواصل مداعبتهِ لعاريتهِ بخبرةٍ وتفنُّن!

"بعض القتّلة فنانون في تفاصيل النساء، ويحفظون خرائطهن كمعرفتهم لخريطة مبنى يحاولون تفخيخه، أو بنك لسرقتهِ، أو مسجد لنسفه!"

المُجرم الذي يحاول تطبيق شرع الله؛ مُهندس في صناعة رائحة الجنس، بأفخر أنواع العطور المنكرة!

(10)

حانَ الآنَ صُراخُ الثَّكالى

في مدينةِ بغداد وضَواحِيها!

لمن تكن المهاتفة السابقة هي - آخر حوار أو مكالمة بين العقل المدبر والسائق الانتحاري؛ فلضرورة أحكام، ولا بد من محادثة طارئة قبل تنفيذ الهجوم.

- الانتحاري؛ لم تبقَ من ساعة الصفر إلا دقائق قليلة تقريبًا، لم يعد الأمر في متناول الأيدي، الموت خيارنا، يردد في نفسه برعب وخوف يتملكهُ، لم يعد الإيمان المحشو في قوان عقله صالحًا للانفجار والموت، لقد كشف حقيقة القتلة، وانكشف السيناريو المُعد لتمزيق ذلك الموزاييك المعنوي والأخلاقي بين الطوائف والمذاهب؛ يا ليتني أعود لحظيرة الحياة! لأنقذ إخواني وأصدقائي المُغرر بهم أبناء الخائبات، إنهم يسيرون في طريق الخطأ وبـــ (معالم على الطريق)!

يردد القول في نفسه وهو قابضٌ على مقود الشاحنة المُفخخة؛ أكبر خطيئاتهم وخطيئتي أنا هي قراءة ذلك الكُتيب أصفر من القدامة والماضوية بطبعتهِ الأولى المعنون "معالم في الطريق"!

سحب نسخة من الكتاب التابو من "جرار الدشبول" للصهريج أو الشاحنة، تمثلهُ فالانتحاريون حريصون على حمل كتيبهم معهم حتى في لحظات الانفجار؛ لعل كتبهم ودستورهم يساعد على إذكاء نار الفتنة ويزيد المحرقة وقودًا طازجًا!

حدّق به جيدًا شاهد صورة كاتبهِ وهو خلف القُضبان، كيف يكون الرّب مسجونًا! ما أجهلنا وما أجهلني! كفر به، لا فائدة للكفر بعد الإيمان بهِ!

أُثقلت هيئتهُ، أصبح بحاجة لمن يحمل عنه جسده، أو أوزاره؛ همت عيناه مطرًا أسود كالحداد، انتابهُ الأسى؛ وكأنهُ انتحرَ قبل أنْ ينفجر، مات قبل موعده، سافر دون وجهة، مَنْ أولئك الفنانون بإيهام الناس بأنَّ الجنة عن طريق الانتحار؛ لماذا لم ينتحروا هم!

المجرمون ليسوا إلا ممثلين بارزين وحاصلين على جوائز الأوسكار العالمي في صناعة الخُدع السينمائية، لقد اختار لهم مدينةً للإنتاج الإعلامي للتدريب عليها والتشوّق إليها وأوعدوهم بأنها الجنة التي ستحتضن أشلاءهم الرميمة!

خارج مدينة الإنتاج الإعلامي يعود المُمثل لحظيرتهِ، عمله، لبيته خارج عن الدور السينمائي، وداخلًا في "مود" الحياة اليومية؛ لا جنة ولا حواري، كأنما اتصل به أحد الانتحاريون الذين سبقوه، في اتصال هاتفي مهموس:

- لقد خدعونا قبلك؛ أوهمونا، لن تجد حُورًا بانتظارك، ولا وجبة طعام مع الأنبياء، ولا مؤتمرات صحفية، ولا ملابس بيض، أنتَ فعلًا ستجد نساء تنتظرنك، لكن غوريلات من جحيم!

وربما لن تجد أكلًا تأكله، حتى "الفلافل البائتة" سوف تتحسر عليها، ولا قناني مياه الأمازون أو الحياة، مياه المبازل والكنب أطعم ولا بديل لها، لا منَّ ولا سلوى، صك الغفران مزور، ليس له حساب جارٍ، هو ورقة مصنوعة على يد أمهر "المزورجية" المتخصصين!

لو كانَ بإمكانك نزع مفتاح الجنة افعل ذلك بسرعة، ما تحمله لا ولن يفتح لك باب الجنة، هو مفتاح للجحيم، إنَّ قتلنا للمسلمين هو مُخطط الشيطان!

لا غُثاء ولا فوم ولا عدس ولا بصل، لقد استبدلوا لكم الخير بأقل منهُ، ستموتون جياعًا على لقمة مُتسخة بدم الأبرياء أو دموع الأرامل والأمهات الثكالى!

- وزد لك معلومة يا صديقي الانتحاري! لا تصدقوا ما قيل ولُقن لكم من تلفيق وتزوير للإيمان، كفُّوا عن الشعارات الطائفية، ليس هناك شروط لدخول الجنة، من قبيل المذهبية والعرقية والطوائف، الجنة شرطها الله ورسوله والصوم والصلاة والزكاة، كُل ما دون ذلك سنحاسب عليه، وعلى قدر الحكم ننال مراتب الجنان؛

لا تغرنكم الخُطب والأدعية والعمائم والدشاديش والعُقل واللِّحى والعبي والحداري والطرابيش الدينية؛ الجنة للإيمان وليس للِّحى!

فلن يطأ الجنة إلا من أتى الله بقلبٍ سليم؛ الجنة لن تدنسها مسوخٌ بشرية، ولن يطأها إلا الإنسانيون المؤمنون بالله وكتبهِ ورسوله دون قتل وتحريض ونفاق وفتنة وشقاق!

من ينقذ أولئك المخدوعين بالانتحار المحشوة عقولهم بديناميت الأفكار الضالة، ولماذا أنتحرُ على مسلم، حتى لو آمنا بأنَّ الانتحار طريقًا للجهاد ألا يجدر بنا أنْ ننتحر على الصهيونية التي تغتصب أرض فلسطين قرابة عقودٍ مضت؟! لماذا ننتحر كُل يوم في بغداد والأنبار والقادسية والبصرة والتأميم وصلاح الدين وديالي؟! بل لماذا ننتحر في كُل العواصم العربية بغداد، القاهرة، ليبيا، بيروت، دمشق، صنعاء، ولا ننتحر في تل أبيب؟!

لماذا كُل الإسلاميين يهتفون بالقدس، وتحرير القُدس، فيما لا أحد يقد مضاجع كيان صهيون؟! أليس هناك مُخطط مدفوع الثمن، أنا شخصيًا أشمُّ رائحة مؤامرة عفنة .. أحتاج لخرقة أو منديل مُعطر .. وأخشى أنْ يكون المنديل إسرائيليَّ المنشأ!

انتهى زمن الأمُنيّات .. وجاء زمن الأمنيات! نفدَ الوقت، أعدَّ العُدة للشهادة!

***

ينذهل الانتحاري من هذا المكالمة الشفوية، من هذا الصوت القادم من مجهول؛ يسحب هاتفهُ، مكالمة طارئة أخرى ..

- الانتحاري: مرحبًا؟

- المُدبر: أهلًا، ما بك مرةً أخرى؟

- الانتحاري يريد أنْ يفضح المُدبر، لكن المدبر يقطع حديثة بالقول؛ انتهت المكالمة، انتهت اللعبة، أغلق هاتفك الآن، ونفذ، ساعة الصفر تدقُّ، سأتلقى الأخبار غدًا في الصحف والمجلات عنك وعن حوريَّاتك، يُنهي الاتصال بضحكةٍ صفراء غامرة ومسمومة تعبيرًا عن الاحتيال والكذب والتلفيق وإغراق أبناء الخائبات والجهلة والمعاقين والمرضى نفسيًّا والمُصابين بالانفصام الشخصي والزّج بهم في محرقة التاريخ!

الزمن يتوقف برهة، لحظات موجعة، المُدبر المُلثم بلحيتهِ وشابوهةُ يشهق أنفاسه بحفاوة، يُميط اللثام عن وجهه، يغلق هاتفه تمامًا، ويرفع شريحة التليفون ويضع الجهاز مع الشريحة - بعد فصلها عن الخدمة - على صفيح الفرن ليحترق بالكامل حتى لا تترك بصمة تليفون أو ملامح شُبهة أو تسجيلًا لمكالمة صوتية، كيف يُشتبه به وهو يعاقر امرأةً في شقتهِ العلوية لا ملامح أقدام جبلية تصله، ولا آثار وقعٍ، .. حتى شارلوك هولمز عاجز من الوصول إليه!

من يعرف هذا المُلثم؟ ومن يكون؟ وماذا يكون؟ وأين يكون؟ ذلك الذي كان يرقب حادثة الكرادة وهو يمضغ جروته أو المارلبورو المفضل لديه، ومن يقف وراءه، ومن هيَّأ له المناخ الرّحب والشقة مُطلة على الشارع الرئيس الذي يراقب به الفاجعة عن كثب وبجدارة وبرؤية مقتدرة، وهو يمضغ دخان سيجارته بشغف، وإلى جانبه حورية من الأرض، تلبس الزّي البغدادي (الليلي) الداكن في العري، كُل شيءٍ في وطني سينتهي إلى عري حتمًا!

حتى الجُثث ستكشف عورتها، ستُكشف العاهات على مضضٍ؛ ما لم تُكشف الدلالات؛ شارلوك هولمز سيأتي بعد يباس الدم في محيط الانفجار يُبكي خطابًا صحفيًّا أو يمضغ ميكروفونًا ثم يتقيأ تصريحًا في مرحاض وسائل الإعلام!

يشجب، يُهدد.. يُندد.. يتوعد المجرمين والقتلة بالقصاص والضحايا بالثأر والانتقام، والشعب بالتخدير الموضعي .. ويستنكر ويستهجن يتحدث بقلق عن القلق .. يعني "بان كي مون" جديد!

المشكلة في وطني أنهم في كُل جريمة وفاجعة وحادثة، يُهرعون إلى موقع الحادثة فيقتنصون الملابس بجدارة، ويتجاهلون الملابسات!

شعوب حتى اللحظة ما زالت في سِنِّ المراهقة رغم عقليتها المتخشبة! حان الآن صراخ الثكالى في مدينة بغداد وضواحيها!

***

الآن الساعة الثامنة مساءًا بتوقيت بغداد، دقت ساعة العمل الديني، صرخة بوجه التابوهات، مرةً أخرى يُجدد الموت لباس ثوبه، يُعلن عن اختطاف ضمير، واغتصاب شرف، وهتك حرمة كرامة، يجدد الموت عهد العِناق والتلاحم، جُثث تتراقص تحت ضوء الانفجارات، ودم تتقيؤه المناهيل ببلادة!

لأنَّ بغداد موطن العتبات المُقدّسة استهدفها القتلة في كل لحظة، ولأنْ أسمها رافدين عززوهما بمياه حيض ونفاس لتفادي جفافها؛ ولأنها علمت البشرية الأبجدية، داهمها الجهل المُقدس والأمية.

أما المُلثم فلم يعد في شقته، غادرها لحظة الفوضى والاشتباك التي خلفها الانتحاري في محيط مجمع الليث وصعود ألسنة النار إلى جنب ألسنة العويل والنائحات، استغل لحيتهُ المُصطنعة وهو يمسك بتلك الباهية في الحُسن مستفيدًا من هرع الناس وهلعهم ومحاولات إنقاذهم للضحايا، مَرَّ مُجانبًا الحادث، ولم يرف قلبه على تلك البراعم التي اقتتطفها أسياف الخيبة وداست على أغصانها عجلات الإرهاب والعنف والتطرف الديني؛ تمنى أنْ يقف لحظات حتى يروي ظمأه من تلك الجُثث وهي تتقلب على صفيح النار؛ لكنهُ خشي من قيام قوات الأمن الوطني بحملة مداهمات لموقع الانفجار؛ القاتل مريض نفسي وعلاجه روشيتة قائمة من أسماء الضحايا أو شرابٌ مرُكَّز من الدم!

أما الفتاة المتوسطة العمر (إيجة من بغداد) المرافقة له، لقد أرعبها المشهد بكت بداخلها، حاولت الإعلان عن صرخة لكن الظرف ليس

مناسبًا بعد، حاول إسكاتها، حاولت أنْ تتخلص منهُ، أحكم قبضة يدهَ عليها بتعنُّت، وهددها هامسًا بأذنها، ألا تفعل ما يُثير الشبهة، حتى تجاوز موقع الحدث، جعل منها وسيلة نقل، "تاكسي" لتقل شهوتهِ مرة، ونقله خارج موقع الحدث مرةً ثانية.. ثم تركها وحدها، فقال لها:

- اذهبي لمنزلك، سأتصل بك لاحقًا، وحذارِ من أي شيء! وإلا فمصيرك بين يدي؛ يعني لربما أنهُ يُمسك عليها ملفات شرف مثلًا!

- ردت: لن أفعل ما يغيظك.

- ليس معي أجرة تاكسي.. اركبي مواصلات نقل، ليس لديَّ الوقت الكافي للحديث أكثر، حاولي أنْ تغادري المكان، أخشى من المراقبة!

- حسنًا.

انتهت العملية وتمت بخيبة كبرى، بفشل فظيع، إنها عملية نجاح فاشل!

فاشل من حيث الأخلاق والقيم والدين والإنسانية، قتل الإنسان مهما يكن لونهُ وجنسهُ وعنوانهُ ومذهبه، عارٌ مُلطخ يُلاحقك حتى نهاية التاريخ، لن يُحسب في قائمة الانتصارات، مهما يكن الضمير ميتًا، والعار شرفًا، فالقتل مهنة مصاصي الدماء، وشهوة المخنثين لمعاقرة أشباقهم المحرمة!

المُجرم في أوطاننا العربية ليس رجلًا، بل هو فياغرا!

***

كُل شيء في بغداد يصلح للمناحة كربلاء تحيا في كُل شبرٍ مزروع مأتم ومغروسة جُثة، وطن مُكتظ بالموتى، مُزدحم بالأشلاء، عابق بالمُنكر، كُلما زاد إعمار وبناء المساجد زادت الجريمة المُنظمة!

دويُّ العويل يعلو فوق مآذن المساجد وعلى أجراس قُداس الكنائس، يا أحدب نوتردام لن نسمع بعد اليوم أنين أجراسك، فمُحدّبو وطنْي أجراسهم أكثر دويًّا من عويلك، ونائحات الوطن الثاكل أجراس تعول لا تمتدي، تدقع أبوابنا الصلدة بقوة المروءة؛ فيما لا مروءة لنا، ونحن نصنع الأمجاد بفياغرا!

هناك في وطني القتيل، المُجبل عن السلام المُقبل للحُزن تحت ضوء القنابل، صراخ الأمهات الثكالى يُخالط ألحان السماء؛ كموسيقى صاخبة في حفل للتأبين، ويمسح الدمع على حيطان مبكى العرب بمكنسة عويل!

لماذا نُسمي الخرق والأوصال مناديل؛ ولا نُسميها مكانس، إذا كانت تؤدي نفس وظيفة آلة التنظيف؟!

عقولنا بحاجة للترميم؛ بحاجة لإعادة التأهيل، فهي تعاني قدامة المبنى، ورثاثة الأثاث، وجعد الجدران، ونخر البلاط، وتلاف الصحيات؛ أخشى ما أخشى أنْ تكون عقولنا بحاجة للمساطحة!

فيما فكر المُلثم العودة ثانية لمحيط الانفجار، وكان ينقصهُ أجيرة ترافقهُ، "تاكسي بشري" تعدله عُدة الجنس والشهوة والمنكر، فهو رجلٌ يعيش اللحظة، يرغب بمشاهدة مزيد من الدم؛ ليس الخمر حساء من عنبٍ مُخلل؛ أخطر أنواع الخمر حساء فودكا دم الاشباق المُحرمة!

(11)

كُلُّ الفُصولِ في بغداد خَريفٌ!

في بغداد تكتمل كُل فصول الفاجعة، دورة الأيام تتعانق بحنين في ساحة دوران، كُل الفصول تجتمع على طاولة الحوار لتنتهي دون حوار أو لتتبنى السلاح لغةً للتحاور والتشاور، في بغداد كُل الفصول متشابهة، خريف وخريف وخريف وخريف، أربعة مواسم متقاربة، مُترامية من السقوط والانحطاط والخراب والدمار ولا ربيع فائت، حتى وإنْ كان ربيعًا مستعملًا .. أو فائضًا عن حاجة دول الجوار!

حتى الربيع هناك دامٍ، فهو يقتطف الزهور في غمرة، بدون موعدٍ، ويدوسها بأحذيةٍ فولاذية، يُصادر عبق عطورها بشفاهٍ جبلية نافرة في التوّحش!

وكُل ما هو أخضر أو مخضوضر في بلدي من حدائق عامة ومُتنزّهات ومعالم ومعامل ومصانع وشركات وعمارات وإنجازات وطنية لا تعني أنها ربيع الوطن، وإنما تعبير عن الحيض والبلل الذي أغرق كرامتنا دون أنْ نشعر به!

وطن يحترق بورق المصاحف، آيات السيف تطاله بتفسيرات الموتى .. يغدو رمادًا وجرادًا، وما زال السِّذج منه ينادون خُضرًا مرابعنا، .. نعم خُضر ببلل الهزيمة!

لعل دراما الموت تكتمل سيناريوهاتها، والمحاور والفصول؛ والشخوص "أبطال وكومبارسات"، وبدء مشاهد تصوير الفصل والحلقات والأدوار والسيلفيات، ما أجمل التمثيل! إنْ كان قتل الضحية للدعاية!

عجبتُ لأمة تُحرم الرقص والغناء والتمثيل .. فيما هي تمارسه بفجاجة وعهر، تجيد دور التمثيل بالجُثة، والرقص على أشلاء الضحايا.. والغناء أناشيد جاهلية للفتنة! هوليوود حاولي أنْ تكتشفي مواهب الفن في عالمنا العربي!

الناس هنا أماتت التكنولوجيا ضميرها وأحيت جهالتها وتخلفها! السيّاف يقتطف الزهور في حديقة الوطن بشهوة غامرة، والناس تصور المشهد بكاميرات شخصية وبثها نقلًا حيًّا على شبكات التواصل الاجتماعي؛ في وطني ليس مهمًّا أنْ تنقذ الضحية، وإنما المهم أنْ تنشر الصورة للحصول على ثمة "لايكات" وكم تعليق كحقنة تأخذها في الوريد للراحة، الفيس بوك "حشيشة" والناس مدمنون حد الثُّمالة!

إنَّ فرق القتل بين هوليوود والعرب، أنْ هوليوود تجيد دور الخُدع الصورية السينمائية، ونحن فنانون في إجادة دور الخُدع العقلية!

- بغداد: يا هوليوود هل تسمعينني؟

- هوليوود: نعم أسمعك؟

- لماذا تتخذينني مسرحًا لأفلامك؟

- إخوتك العرب هم من أناطوا الدور لك؟

- تقصدين إخوة يوسف؟

- لا أفهم لغتكم، المهم هم أبلغوني بأنَّ الدور يناسبك؟

- ألم يمل مشاهدوك تكرار المشهد في نفس الموقع والأدوار والأجواء؟

- بدأ نُغير مواقعنا.

- الأمر واضح جدًّا، لكن بغداد تنال نصيب الأسد من سيناريوهاتك؟

- الأسود لا تقبل بنصيب الكلاب!

ما زلنا نسبر الأغوار في العمق من خيبتنا، وجهلنا، وتخلفنا، نغرق في مياه حضيضنا سباحة تقليدية، نرفض كُل مغريات الإنقاذ والنجاة، لسبب أننا لا نستطيع العيش بدون خيبة أو فاجعة أو فضيحة؛ أنا مُعجب بهذه الأمة النائمة، فالنوم هواية عربية!

من ينقذ الأمة من "قاتها" وعلماء الأمة مُغمى على عقولهم في أفيون الشعوب! ليس بالضرورة أنْ تشرب الخمر لتؤثم وتسكر، يكفي أنْ يشرب عقلك الدين تطرفًا وغلوًّا .. يكفي أنْ تقتنع بخطبة رجل دين يتسلق على منبر ضرار، كشمبانزي ناطق!

لعل المشهد موجع وأكثر شغفًا، الإنسانية تُنتهك تابوهاتها، والغاصب حامٍ للإنسانية أو أنهُ يدعي ذلك زورًا وبهتانًا، صور مُقززة ومثيرة للفاجعة، أرواح مُهشمة، أجساد متقطعة "فدرالية لحوم"! ..ودم مسفوك بطريقة دينية بشعة، كأنه قالون ماء طيح به أرضًا لا أحد يتأسف عليه، أهان عليكم قتل الإنسان على لونه أو مذهبه؟! من يقتل باسم المذهب سينال الله منه على توظيفهِ للمذهب.

أيها الإخوة الأشقاء العرب.. بغداد مدينة منكوبة، لكن أتركوها لنكبتها؛ وما عليكم إلا أنْ تعلنوا ضمائركم مدنًا منكوبة، فهي أحوج للصحوة والإغاثات والمساعدات الإنسانية!

صار الدم المهدور في وطني أكثر سفكًا من الماء، دجلة والفرات عذبان بالدم والعويل والمخاط، أما المياه فهي ممنوعة إلينا بأمر خليفة المسلمين وحامي فلسطين!

أما المياه الآسنة، فهي ليست متسخة، لكنها حريصة على لبس الحداد على موت الضمير فينا واتساخ الكرامة!

ليس هناك قتلى في بلادي، بل أرواح متفحمة، أجساد ممزّقة، بقايا أشلاء أحرقتها سجائر المجرمين ودخان السيارات المفخخة، ظلت في منفضة التاريخ رمادًا يُعانِقُ رمادًا!

بماذا تشتهر أوطاننا؟ في بزّ قماش الأكفان، والمناديل، وصناعة التوابيت وأكياس القمْامة، شعب يستحق الحياة، في العراء!

الآن في بغداد الساعة الثامنة مساءً بتوقيت شيوخ الإرهاب يُرفع الستار عن المشهد التراجيدي عن فاجعة الكرادة، وسط تصفيق وحماس من الجمهور والحاضرين؛ إنَّ كشف عاهتنا صارت رغبة عارمة ومطلبًا جماهيريًّا، أمة ما زالت تحمل بركبة امرأة، حتى وإنْ كانت فاطسة!

لقد عاود الإرهاب من جديد بعباءتهِ الدكناء في العري؛ ولحيته الكثة، لمسرح الحادثة يُذكرنا بملجأ العامرية الذي ما زال يُخالط ذاكرتي بسارة المشهد وفجاجته من لحم مشروم على طريقة هولويوود وفروات رؤوس بلا رؤوس، موسيقى صاخبة يناغمني بها نصير شمة وصور حية لموتى تقتادني إليها ليلى العطار بريشتها الساحرة وعينيها كرختي ورصافتي.

- مساؤك عَطِرٌ يا ليلى العطار؟

- مساؤك رائحة الأرض صديقي؟

- كيف حالك؟

- بخير ما دمتُ أعيش بدون فتوى!

- وما دمنا نُهان بتلك الفتوى!

- ساعدينا على النجاة؟

- أدعو الله أنْ ينقذكم من الحياة بمعجزة!

يا ليلى العطار احفظِي لنا في مرسمك مكانًا لرسم جنةٍ من الأطفال وهم يوفدون إليك؛ سعيًا، يا ليلى العطار إنْ نفذت أصباغك المائية هاكِ دماء طفولتنا، ودموع أمهاتنا، وعويل ورذاذ شبابنا، صندوق رسم وعُدة أصباغ فاخرة وطهورة؛ ارسمي لنا وطنًا من الذكريات!

عامرية العصر، كرادة وعناق القباب بالصليب والوشاح؛ وتلاحم الهلال بالصليب، كُل شيءٍ يُذكرنا بالعامرية، حتى ليلى العطار، لم تبخل علينا من الذاكرة؛ الجو مُكتملةٌ طقوسه ما كان ينقص الكرادة فقط ريشة ليلى العطار وموسيقى نصير شمة!

كان وصول "علي" قادمًا من كاظمية الأمام موسى الكاظم (عليه السلام) إلى "عمر" في أعظمية الإمام أبي حنيفة النعمان (رضي الله عنه)، أئمة يفصلها جسرٌ حديدي، وتربطهما جسور عقائدية جمة مصنوعة من ذهب وألماس، وأفخر الأحجار الكريمة وهي العقيدة الصحيحة!

ثم ركبا في باص (كوسترات) باب المعظم، ثم ترجَّلا فركبا سيارات باب الشرقي، ومن ثم ترجَّلا مرةً أخرى وأخرى ليركبا مرةً أخرى وأخرى في سيارات كرادة داخل، حتى يصلا للكرادة .. كرادة فخامة الاسم تبكي!

علي وعمر كانا شاحبين، رمضان طويل وصيّام قاسٍ، ودرجة الحرارة في بغداد 42% ليلًا، ما حال الظهيرات القاتلة هناك، إنها تقتل لا تُحيي؛ يبدو أنَّ ملامح الموت ترافقهما مُذ أنْ ركبا باص النقل، النقل ليس وسيلة لتنقل الأجساد؛ هو أيضًا وسيلة لتنقل الأرواح بين مرابات الجنان!

انفجارات نافورية، صهريج محمل بالغاز، براد جُثث مفخخ، وثمة إشاعة، حتى رجال الأمن لا تعرف سبب الانفجار، ولا حتى الحصيلة النهائية؛ تمر الأيام والمفقودون في تزايد، بعض الموت انفجار عنقودي، يظل يُخلف موتى وضحايا، الموت فينا ينتشر وينشطر ويتلاقح بالزيادة، والحياة واحدة مملة وبليدة لا تتكاثر بالبيض أو بالإنجاب!

لعل رجال الدين يملكون معلومة عن الانفجار أكثر من رجال الأمن؛ فالموت في أوطاننا العربية صار من اختصاص رجال الدين وبالفتوى وبسيف الآيات وتفسيرات الموتى وكتب سيد قُطب الأب الروحي لشركة نقل المسافرين إلى الآخرة!

أما رجال الأمن فوظيفتهم هو إحصاء أعداد القتلى، وتأمين الحياة على جُثثهم من التفسخ أو الحفاظ على أسمال ومحفظة نقود الموتى لسرقتها من المارة!

الذين قتلونا في المفخخات والهاونات والتفخيخ؛ سبقوا ذلك باختطاف الكرامة منا وقتل الضمير فينا، هل الطائفة تُحدد إنسانيتك من عدمها، هل الطائفة تلغي الطوائف الأخرى، هل من الإنسانية ألا تتألم عن مقتل إنسان، حتى البهائم والدّواب تُبكي قرينتها؛ فالحيونة خط أحمر في عالم الحيوانات، والإنسانية منتهكة في عالم البشر!

إنَّ الأفاعي والبهائم والدواب والحشرات أكثر احترامًا للتابوهات منا (!) ألسنا بحاجة إلى العودة إلى عصر الحيونة لإنقاذ الإنسانية منا!

لعل جُل ما أخشاه هو أنْ يأتي يومٌ تنشأ المجتمعات العربية "حديقة الإنسان" يزورها الحيوانات للترفيه والنزهة والتنفيس عن ضائقتها وتغيير أجواء الروح!

بعضهم سيُلقي علينا قشور الموز؛ ردًّا للجميل الذي قدمناه في سفراتنا المدرسية للقردة يومًا وهي في أقفاص حديدية من أحد أركان الحديقة!

تبًّا للمُلثمين بخيبتهم، المرتدين أقنعة مُلتحية في حفلات تنكرية صاخبة؛ يُكفرون تشارلز داروين على أفكار نظريتهِ، ثم ما لبثوا أنْ عادوا إلى تطبيقها فينا بحذافيرها!

***

لقد استقدم المجرمون سيارة براد مُفخخة - على الأغلب الأعم، لعلهم يحملون دمًا إنسانيًّا باردًا، أو ضميرًا عربيًّا مُثلجًا يُخشى عليه من التلف!

يحملون مادة حارقة وقاتلة أظنُّها السيفور أو النابالم أو نترات الأمونيوم أو برادة الألمنيوم أو كاربيد الكالسيوم كما أبدته وسائل الإعلام، لربما لا تحمل مواد كيمياوية أو بيولوجية مدمرة، وإنما محشوّة بمواد شرعية، وفتاوى ودعوات وأهازيج بدوية، وتهاليل وأذكار انتحار، وأناشيد وأغاني فتنة من كلمات أبي جهل ولحن مُسيلمة الكذاب!

فالسلاح الديني بدا أكثر فتكًا ودمارًا من الأسلحة البيولوجية والكيمياوية المُدمرة، ولهذا عوّلت أمريكا على الأصولية الدينية لعودة الاستعمار الجديد بهذا السلاح؛ فهو أشد فتكًا وأكثر ضمانة لعدم تصويبه على فروة إسرائيل!

سلاح تكفيري مُدجج بالزجاج والمسامير إلى جانب "فتوى مُعلبة"، ليصعق الإنسانية فينا، ليُدمي الضمير، ويُميت القيم، ليُحيي القتل والإرعاب في شوارعنا المُغفرة!

لقد تسببت تلك المادة القاتلة بملاحقة الأرواح الهاربة من دوي الانفجار واللائذة وراء ستار أو جدار أو كتلة كونكريتية معلبة ومستوردة؛ حتى الأسلاك الشائكة والكتل الكونكريتية بضاعة مستورة، ناهيك عن الكتل السياسية!

إنهم يحتمون بالكتل الكونكريتية، نعم لعل الكُتل الكونكريتية أكثر حماية وأمنًا لنا من الكتل السياسية، الأولى تحمينا من الموت، والثانية تحمينا من الحياة! تُقدمنا وجبة إفطار شهية للإرهاب!

موجة موت تلاحق الضحايا، تطاردهم، تتوعدهم بتابوت صندل، تنبح بوجه سعادتنا؛ كالكلاب المسعوّرة، فالنار كلبٌ أسود يُريد نهشَ الإنسانية فينا!

كان المشهد مأساة، محرقة، هولوكوستًا عربيًّا، والضحايا مسلمون! أو أنهم يحملون هويات إسلامية عظم عاج مُهورة!

ليس هناك ذنب لقتلنا إلا لأننا مسلمون وإنسانيون، ولأننا متهمون في حُب الحياة أرادوا قتلنا!

أيها الأوباش خذوا الكراسي والمناصب واتركوا لنا الحياة، نحن خُلقنا لنحيا كرّامًا لا لنموت بفتاواكم من أجل إطفاء شهوات جوعكم!

الحُرية بدون ثمن، كالحُب بدون تضحية، كالوردة بدون عطر، كالمرأة بدون شرف؛ ما أجمل الحُرية من خلف قُضبان السجون، وأسوأها حينما تأتِي من خلف الأوطان والحدود!

لم يكن الناس هناك مسؤولين وإعلاميين وصحفيين ومارة إلا شهود عيان لمجزرة مجانية، لكنهم شهود زور، لقد كذبوا حينما قالوا عشرات القتلى، وبعض وسائل الإعلام تناولت إحصائية **165** شهيدًا، وبعضهم سمتها "قتيلًا"، وأخشى أنْ يتمادى الضمير الإنساني بفاحشتهِ ليقول مقتل كذا خائنًا، كيف أصبح الموت خيانة؟! الإنسانية فينا تُحتضر والـ **K9** يُدافع عنا ضد إنسانيتنا من أجل إنسانيتنا!

توقفت عن مطالعة التلفاز وتقليب القنوات الإخبارية ليس لفجاجة المشهد، إنما خشية أنْ تسمي بعض القنوات شهداءنا الأبرار بمسميات لا أخلاقية! كُدت أنوي الوصول إلى متابعة الأخبار من خلال القنوات الغنائية، أبحث عن مطربٍ ساذج يُغني عن الشرف في مبغى ليلي، أو راقصة تتغنى بحب الوطن، أو أجيرة تدافع عن ضحاياه، أربح التجارات هو أنْ تُغني للوطن مواويل ورقص وعتابة!

صار الولاء للأوطان العربية تُحدده الموالات والأغاني والرقصات، أنْ تغني عن الوطن يعني أنتَ مواطن من الدرجة الأولى، أما أنك لا تجيد مهنة الغناء أو صوتك مبحوح فأنتَ خائن من الطراز الأول!

نعم إنَّ كذب وسائل الإعلام وتزييفها للحقائق هو عارٌ في غطاءٍ آخر، حينما يكذب الإعلام أو يزور أو يُلفق فهو يتحول من وسائل للإعلام إلى وسائل للإعدام!

إننا أمة تقتلنا الكاميرات المُدججة بالبارود الصوري والمؤثرات الصوتية، ما أقبح الأمة التي تنتهك حرمتها الكاميرات وهي لا يسعها رتق فضيحتها!

لقد آنَ الأوان لنوقف تصوير مشاهد "السيليفيات" مع الجُثث والضحايا والقبور الصحابة والأولياء!

الكثيرون منا هرعوا لموقع الحادثة؛ لا لانتشال الضحايا أو إسعاف الجرحى أو مواساة ذوي الشهداء، وإنما لأخذ الصور والسليفيات ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، تعبيرًا منهم عن كسب أصدقاء جُددٍ!

متى يحلق العقل العربي لحيتهُ ويُرينا وجههُ الوضَّاء إنْ لم يكن مزورًا، لقد أتعبتني مهنة التأبين والتشييع والدفن وغسل الموتى، أريد أنْ أعمل في مول للملابس والعطور والإكسسوارات للترفيه وتغيير الوجوه يوميًّا، وأخشى أنْ يكون قبري مجمع الليث التجاريَّ!

المولات في بلادي صيد طري للإرهابيين، ومجزرة للضحايا، والبلاد قبور وقبور، متشابكة الأيدي ترفض الانحلال أو التلاشي، فمَنْ مات غير شهيد في وطني مشكوكٌ في موتهِ.. مشكوك!

شُبَّان الفيس بوك والانستجرام وتويتر يهرعون لكشف عاهاتنا، وشبان الأمن يترنحون في كشف دلالاتنا، لماذا خُلقنا من أب وأمٍّ عراقيين حتى يُكتب لنا أو علينا هذا البلاء، الحمد لله على نعمة الإسلام!

إنَّ المُذهل هو فجاعة هذه المواد القاتلة إنَّ المبنى مُكوَّن من ثلاثة طوابق باعتبار (الأندر) هو طابق محسوب مع البناية، مول متواضع لكنه قديم ومعروف تاريخيًّا، ربما تاريخ المول أطول من تاريخ الجلاد؛ وتاريخ شارع قديم في بغداد أطول من عمر أمريكا!

زرتهُ قبل الحادث بأشهر أنا وصديقي مصطفى، استعدنا به بعض ذكريات الحياة الجامعية ونحن نتبضع ملابسنا أو بالأحرى نتبضع ما نتمنى أنْ نشتريه، ونحن لا نملك ثمن ما نروم شراءه!

وقد كان باب السطح الخارجي للمجمع مُحكمًا بالأقفال الحديدية الصدئة، فلم يستطع أحد فتحه للتقليل من حجم الكارثة والدمار، مما أدَّى إلى أنْ يعلق ويُحاصر الكثير من الناس داخل المجمع حيث كان المخرج مقطوع بألسنة النيران وعصف الانفجار والقنابل الانشطارية المتتالية، ناهيك من إطلاقات النار المجهولة صوب الناس من مصدر مجهول أو نيران صديقة!

حيث قضى الكثيرون نحبهم اختناقًا بالمواد السامة وبالدخان، حتى سقطوا جُثثًا وبعدها تفحمت تلك الأشلاء ووجد أغلب جثث

الشهداء في الطابق الثالث الخاص بالمخزن هربًا من الموت ومُلاقاةً للسماء أقرب!

أحيانًا يتسبب النصُّ الديني بفِقدان الأكسجين والاختناق والوفيات أكثر مما تتركه نترات الأمونيوم أو السيفور فيما لو استعملهُ الأطفال في الدين أو ممن لم يبلغوا سن الفقه!

فنحن شعبٌ نموت وقوفًا، لا نَلقى حتفنا إلا في علوٍّ، كنخلات شط العرب، لهذا عانقنا الموت في المبنى العلوي دون السفلي، فالسفالة للمجرمين، والعلياء للرّقاب الشامخة، لهذا دومًا نموت رفعًا بالمشانق؛ وهولوكوست الكرادة شاهدُ عيانٍ على علو قامتنا وشموخها!

إنَّ قلة طفايات المبنى كانت سببًا في تصاعد عديد الشهداء الضحايا، بعضها لا يعمل وبعضها الآخر لا يجد من يُسعفهُ، أما الكثيرون فكانوا يُطفئون المبنى بصُراخهم وهوسهم وعويلهم وسيلفياتهم، كمن يُطفئُ محرقة بإشعال عود ثقاب!

فكل ما حدث في مجمع الليث التجاري ومول الهادي سنتر كان يشبه العامرية، حتى عدد القتلى يتجاوز الأعداد الرسمية بكثير حيث يشببها البعض بتلك الكارثة؛ الموت في بلادي يشبه بعضهُ بعضًا كثيرًا!

لا أنصح الأطفال بمتابعة قراءة هذا الرواية - إنْ استطعت من تقريب المشهد فأنا مُذهل ومرتبك وخائف حتى من الكتابة، فالحادث أليم والمصاب جلل - لهول الموقف، كان يجدر دفنهم في مَقبرة جماعية للتشوّهات والحُروق، الكثيرون لم يجدوا الوشوم أو العلامات الفارقة لمعرفة أبنائهم، أما الملابس فقد أصبحت وقودًا للفاجعة!

تُمرع أمٌّ من الشارع الموازي ثكلى، تصرخ بحنجرة ذهبية تصلح لتقديم مناحة أو عريفٍ لمأتم، ابني، ابني، ابني تصرخ بضمير مُنتهك .. يحاول الناس منعها من الاقتراب، تشتاط، تُهرع إلى النار:

- أريد ابني، الله أكبر؟

- ابنك لم يمت هنا؟

- كلَّا، ابني في المحرقة؟

- لن تستطيعي التعرّف إليه؛ الجُثث مُتفحمة!

- فقط اتركوني أقتربُ من الضحايا، أنا أمهُ وأعرف رائحتهُ.

يا إلهي! ما عدتُ أتمالك صبري، الأم ابنها دليلها إنْ تاه، وعطر ابنها هو الدليل، وطن نساء رُمَّل وثكالى، كيف نصنع جيلًا جديدًا، أوطاننا القادمة دور أيتام وكهلة!

بسبب شعارات وهتافات دار الإسلام ودار الكفر، أصبح غالبية المسلمين يُقيمون في دار الأيتام!

الكرادة: في العيد ملابسنا أكفان، ودماؤنا نقش حناء!

كُل من لم يُعثر عليه في بغداد في ذلك الوقت هو شهيد الكرادة، فوجود الأشلاء البشرية التي يصعب التعرّف إليها، الهويات متلاحمة مع بعضها البعض، الدم يعانق الدم، البعض اعتُبرَ مفقودًا بسبب وجود أشلاءٍ بشريةٍ يصعب التعرّف إلى أصحابها حتى الطب العدلي عاجز عن تمييز فحوصات الـ **DNA** لعناق الدماء مع بعضها البعض!

من عائلة واحدة يُغيِّب الموت خمسةً أو سبعةً من أفرادها، هذا يفتش عن ابنه وتلك تفتش عن زوجها، وآخرون يفتشون عن الإنسانية في محيط الانفجار!

وجد البعض من جثث الضحايا وقد احتضن بعضهم الاخر أو متلاصقين مما يدل على انهم واجهوا رعب النار واللهب ولم يجدوا مفرًّا أو مخرجًا بعد إنْ حوصروا ولا يستطيع أحد تخيُّل مدى الرعب الذي عاشوه، بينما وجد أحد الشباب الشهداء وقد احتضن جثة ابن أخيه الصغير ليحميه من النار بشجاعة، حتى الموت لم يمنعنا من البسالة؛ بل الموت هو مختبر تجريب مدى صلاحية الرجولة فينا!

***

يُصرح مسؤول رفيع المستوى عقب الكارثة؛ إنَّ أغلب الضحايا هم شباب ونساء وأطفال؛ طبعًا وهل تظن أنَّ الضحايا أسماك وحشرات برية!

***

حجم الجريمة وبشاعتها كبير جدًّا قابلها صمت من العالم العربي مخزٍ جدًّا وجدًّا، لا أحد هناك يأبه لحالنا، لا أحد يعنيه أمر الإنسانية هنا، حتى الحيوانات أكثر رحمة منا بذويها؛ لم يُفخخ الحيوان يومًا إسطبلًا أو زريبة أو دامة وحقلًا لتسوّق الخضار والفاكهة أو الحشيش والقيق! فيما لم نُبق نحن حُرمة للربِّ والسماء، بدأنا بمحاربة الكفار وانتهينا بتفكير الإسلام!

الموتى في وطني يولدون من جديد، يحيون حياة أخره، من أراد قتل الطفولة فينا، فليُحيي الضمير في نفسه، نحن من أرض السواد، بزغنا على هذي الأرض وثيابنا الحداد، لن نموت إلا كالنخيل، والبيارق فوقنا ترابٌ ورماد!

أيَّتُها المواسم المتقاربة، والمتلاحقة كحصان سباق، أبدلي ثوب الخريف الأسود من أشلاء حرائبنا، من رؤوسهن الكثة، امسحي دموع اليتامى، استبدلي الأخاريف بربيع متأخر، بربيع رديء، ما أحوجنا لعطر الورد؛ لقد تسببت رائحة الجُثث والبارود والعتاد موت ضمائر الكثير منا وعكَّرت مزاج الأخلاق فينا!

***

كُل ما ذُكر في وسائل الإعلام هو تضليل للأرقام الحقيقية ومحاولة إلباسها حجابًا، لستر الفضيحة لا لحشمة الأرواح العفيفة! لماذا تمارس وسائل الإعلام لعبة تزييف الحقائق؛ فكُل الإعلاميين يرتدون أقنعة مزيفة ومكياجات مؤدلجة قبل أنْ يطلوا علينا من نافذة الرائي؛ إنهم يخدعوننا في أخبارهم وفي وجوههم!

بفم أُمٍّ ثكلى وأرملة نافرة في العويل وصرخة أرواح متفحمة؛ أطالب بتحويل مجمع الليثي التجاري؛ إلى مقبرةٍ جماعية رسمية؛ فالمفقودون، والمدفونون تحت سقف المبنى المُنهالك يفوق عديد أكداس الضحايا، وأكثر من الناجين!

***

وطني مقبرة للأحياء، كدس عتاد ومشجبٌ للجُثث الحيَّة .. يصلح حائطًا للمبكى، ومزارًا للعاشقين! وأكثر.. يصلح آثارًا للسياحة!

أوصي بزيارتهِ وشد الرحال إليه؛ كبقايا من حطام أنسنة، وديناصورات أخلاق ميتة!

(12)

مُوزاييك المَسْجِدِ والكَنِيَسةِ

(هِلالٌ وصَليبٌ)

لأنَّ الإرهاب أعمى، لا يريد لوطني السلام، اختار الكرادة هدفًا لهمجيتهُ لأنها مسجد وكنيسة، لأنها سنة وشيعة، لأنها مسلمون ومسيح، لأنها وطنٌ واحد، موزاييك تاريخي من التلاحم والتجانُس، فالقتلة تغيظهم وحدة الأوطان، الكرادة تدفع ثمن الفكر الظلامي، الكرادة تحت النار .. الكرادة تحت الطلب!

الإرهاب أعمى، من يُسعفهُ بنظارةٍ أخلاقية، علهُ يُعيد النظر بهتك شبقهُ المُحرم!

- أبدًا، الإرهاب ليس أعمى!

- ماذا؛ فمن الأعمى إذن؟

- نحن!

- كيف؟

- لأننا ما زلنا نعتقد أنهُ أعمى وهو فنان في تصويبنا على الدقة، فهو ما زال يخدعنا، يستهدف قلب المراكز الحيوية من وجداننا، يختطف فلذات أكبادنا، يستهدف مراكزنا الحساسة، يضرب معاقل مدننا، ووجداننا ويحرق مساجدنا وكنائسنا وأسواقنا الشعبية، ونحن ما زلنا نُبرِّئ الإرهاب من قتلنا بحجة أنهُ أعمى، ولا على الأعمى حرج!

***

مآذن صدئة لا تُذكرنا إلا بالموت، والتأبين والدفن ومواقيت الصلاة على جنازة! صُلبان ما زالت تجلد فينا المسيح الحيّ، باليوم مائة مرة، عيدان صالحة للموت شماعة للشنق؛ كنائس بغداد بحاجة ماسة لأحدب نوتردام لقرع الأجراس فيها، يا فيكتور هوجو أسعفنا بقارع الأجراس، أو أسعف المسيح من أنْ يُصلب من جديد في أرضهِ الطاهرة بغداد!

لقد أصبحت أرضنا طاهرة، تصلح سجادًا للصلاة، أو كراسي لعيد القُداس، هناك كُل يوم نطفئ الأرواح بطفايات فتوى، ونشعل دونهم ألف شمعة، أخشى على أمتي من الشمعة أنْ تحرقنا، أيُّها الموت تعرّف إلى غيرنا، ألغِ صداقتنا، ما عُدنا قادرين على الاستمرار معك، جِدْ غيرنا أصدقاء حميمين لك، مُذ عشرات السنين ونحن نُقتل بنيران صديقة، رحماك ربي بأعدائنا!

من يموت في وطني ليس المسلم أو المسيحي، السني أو الشيعي، العربي أو الكردي أو التركماني، فالمسيح يُصلب ويموت هناك بأوامر قبض تكفيرية .. مجزرة الكرادة أماطت اللثام عن وحدة البلاد حتى في الموت (فريد بهنام السندي) يُدفن إلى جانب عمر وعلي وعثمان وحسين، وكاكا حما؛ الإرهاب ليس طائفيًّا بل عادلًا في ذبح الناس وتوزيع ظُلمه بالتساوي؛ بل الإرهاب ظالم حتى في عدلهِ!

الإرهاب ليس سنيًّا أو شيعيًّا؛ الإرهاب مومس عاهرة أجيرة تُريد تلويث الشرف بأي ثمن(!) بعض الإرهاب يُوحِّدُ، يلمُّ الشَّمْل لا يُفرق.

نعم؛ لقد خابَ الإرهاب أنْ يُفرقنا، لقد وحدنا في الموت، جَمَعَنا على مأدبة إفطار واحدة سنيًّا وشيعيًّا ومسيحيًّا وكرديًّا وتركمانيًّا وأيزيدي، يقتسمون خُبز الفجر، ويأكلون من مائدة طعام واحدة، لقد خاب ظن الذين اعتقدوا أنَّ زرع الفتنة قد حان موسمهِ، بغداد أرض لا تصلح لزراعة الفتنة!

أقول لهم: زرعكم جاث لن يرمي إلا الحنظل والثمر الفاسد، الأرض الطيبة ترفض عناق الذل، الأرض الطيبة لا ينمو في جنينها اللقط والخس والحرام.

هذا الحصد غير مأكول، جاث، سحت، لا يصلح لإطعام الناس، هذا المنتوج لا يؤكل من غفار، لا يُشبع من جوع، لا يروي من

عَطَشٍ، لا يُغني من فقر، الفتنة في بلادي شتلاتٌ وافدة ومستوردة، وليس من زرع فلاحنا البسيط والكادح المتواضع كأرضهِ!

لعل الإرهاب بالفعل أعمى، فهو أراد أنْ يُمزق ثوب الوطن ليكشف عورته ولحمهِ الطرّي أمام عيون الغرباء والشَّبقين بالمحرمات، لكنهُ وحَّدَ الناس أكثر مما فرقهم!

يا وزراء الصحة العرب اعقدوا اجتماعًا طارئًا، طالبوا بتخصيص مبالغ لإنشاء مستشفيات خاصة للأمراض النفسية، وعيادات تخصصية لمرض الخواء النفسي، مجانية ومدعومة حكوميًّا لمعالجة مشايخ الإرهاب!

أنصح الإرهاب وشيوخهُ الكهلة المرضى بمعاداة طبيب العاهات النفسية، فهم لا يُعانون قِصَر نظر، وإنما من خواء نفسي!

***

أصبح عيشنا في وطنٍ مزقتهُ ثارات قديمة شبه معجزة لن تتحقق بدون نبوءة، والنبوءات انتهت مُذ زمان؛ كُلنا نموت بأعجوبة، أما الناجين منا فهذا قدرهم أنْ يتعذبوا أكثر، أنْ ينوحوا ويبكوا حتى يأذن الله بسفرهم؛ السفر دعوة للراحة، إذا كان الوطن يعاني أمراضًا دينية مُزمنة!

كُتب العذاب على من يحيا تحت شابو هذا الوطن، والراحة والسعادة هي الحياة تحت أنقاضه وترابهم؛ سُعداء أنأيها الموتى في بلادي؛ على الأقل إنكم تتمتعون بخدمات جيدة، ونحن التِّعساء لا نجد من ينقذنا من وطننا إليكم!

لم نعد محاصرين بالكتل الكونكريتية أو الأسلاك الشائكة أو حفريات الشوارع أو "الجيتوات الإسلامية" داخل المجتمع الإسلامي! وإنما مُحاصرون بين جوقة فتاوى هذا يُدخلنا الجنة بكتاب رسمي، وذاك يُخرجنا من الجنة بدعوى قضائية، هذا يُراقصك على مُنكرٍ حلال، وذاك يُداعب جُنتك في ديسكو مُحترم، أما لنا أنْ نوقف هذه الموسيقى الصاخبة، إنْ نكسر أوتارها، يا نصير شمه أسعفنا بمعزوفة تأبين، الشرف فينا يحتضر!

- الوطن يُعانينا؟

- أنصحه بمغادرتنا!

- أليس هناك علاجٍ آخر؟

- المنفى؟

- أين يقع ذلك؟

- موجودٌ في كُل مكان، حتى داخل الوطن!

- هذا مستحيل، أين المنفى داخل الوطن؟!

- كُل سجنٍ وزنزانة ومشفى ومقبرة وعُزلة وبيتٍ بعيد عن ضجيج عجلات الحرب هو منفى متواضع، حتى الوطن ذاته هو عبارة منفى لكنهُ يكذب ويكابر من قول الحقيقة!

وطني يوجعني؛ وطني يعانني ويعانيك والآخرين، ونحن الآخرون نعاني وطني، كلانا مرضى ونُنافس المرضى على صدارة الوجع! ما أنذل هذا النِّزال، الرابح منا هو الأكثر خسارة، هو سيد للنذالة!

وطني يوجعني، موسيقى تأبين تعزف على أوتار جرحي، وتلاوات حزينة بصوت ضحية ذبيحة، ومآذن تعول كالأم في مدفن ابنها، أيتها الحُرية ما أثمنك!

بل أيتها الحُرية ما أجهلك! الحرية تأتي بإحياء الموتى، لا بموت الأحياء، متى يتم تصحيح تلك المعادلة الفجة والمقلوبة قفاها كجُثة طازجة في التفسخ!

أجهل ما يكون أنَّ راعي الحرية؛ راعي قطيع مواشٍ في حقول الألغام، لا يدري إلى أين يسوق بنا!

إنَّ الذين أخذوا بكارة ضحكتنا؛ هنيئًا لهم جذوة العار؛ هنيئًا لهم جوائز الانتصار على القيم!

(13)

الحُبُّ يتعرّفُ إلى جُثَثِ الضَّحايا!

وطني؛ أُمٌّ ثكلى، أختٌ حزينة، أرملة ناعبة، ما هذا وطنٌ يستهدف النساء منا من خلال قتل الرّجال!

***

- كيف حالك أيها الوطن؟

- لستُ على ما يُرام؟

- ما الذي يوجعك؟

- مُكتّظ بالمسوّ البشرية؟

- أوصي لك بطبيبٌ مُختص؟

- كلا، يكفيني مكنْسةٌ كهربائية!

***

قبل دخولك الحدود السياسية للوطن، ستقرأ قطعة دلالة كبيرة، لافتة عزاء، أنتقل إلى رحمة الله وطن! أرجوك لا تبكِ هذا هو القدر، والأعمار بيد الله، والإعمار بيد اللصوص!

بعد أنْ تقرأ اللافتة تمامًا تأكد أنك لست تائهًا أو مُشردًا أو ضائعًا، لقد عثرت على العنوان فلم تعد مشردًا؛ أنتَ الآن في رحاب وطنٍ عربي! فقط ينقصك المواطنة لتكون مواطن!

***

الوطن؛ كلافتة عَزاء، لا يتغير منها إلا أسماء وعناوين القتلى، أصبحت أمهاتنا "فنانات في الثكالة"، في اللّطم، في العويل، كل واحدة منهن تصلح "عدادة" تتقدَّم فوج نائحات وملاطم، بدون درس خصوصي، أو معلم أو دخول دورة تدريت على العويل!

لم تعد كربلاء مدينة يؤمها الزوار لإحياء طقوس وشعائرٍ حُسينية، أصبح كُل شبرٍ في وطني كربلاء في الحُزن والعويل، حُزننا كربلائي، ومعاناتنا وعويلنا، وطنٌ نصفه ضحايا ونصفهُ الآخر ناعبات يرثين المأتم!

الحُب يحاول إنقاذنا من الحرب، والحرب تحاول إنقاذنا من الحُب والسلام!

سرى تهاتف حبيبها عمر:

- أهلًا حبيبي.

- هلا بريحة هلي.

- اشتقت إليك.

- لا علاج لمرض الشوق؛ إلا اللقاء.

- هيت لك.

- أين أراك؟

- لا أستطيع الخروج من المنزل، لكن من الممكن أنْ تأتي للجامعة؟

سرى طالبة حقوق في جامعة بغداد، عراقية وأخجل أنْ أقول لكم أنها عراقية من طائفة الأيزيد - لأنَّ كلمة الطوائف والعرقيات معيبة في قاموس المثقفين -؛ الذين يتمركزون في محافظة نينوى شمال العراق، فهي مثلي أنا نرفض كُل الطوائف والمذاهب والمسميات، مثلي تطمح لـــ "عرقنْة" القيم والخطاب فينا؛ ما أوجع حديث الطوائف! أنهُ نفاق وطعن في الظهر!

هي في مرحلة أخيرة؛ على أبواب التخرُّج، بمعنى على أبواب العطالة وملازمة المترل، الفتاة العراقية بعدما تتخرج تعلق شهادتها الجامعية في المطبخ وتبدأ العمل تحت أنظارها تطبخ وتمسح البلاط وتغسل الأواني وتنظف وتزين الديكور، تتعين بصفة شغالة في بيت أهلها، تنتظر تعيينًا أو زواجًا؛ بعض الزواج هو المنقذ للفتاة من مهنة الخدمة المترلية إلى مترل آخر!

والحال أسوأ منه للشباب؛ تسكع وعطالة، والمشكلة تكون عطالة بجدارة وتفنَّن، خريج الجامعة عندما يتسكع يصبح خبيرًا في العطالة، ومختص في شؤون التسكع!

في أوطاننا العربية فقط من يخرج من أبواب الجامعات يدخل أبواب التسكع بمهنية!

- حسنًا؛ غدًا سوف أتي إليك؟

- رؤية عينيه تفتح لها أبواب مُغلقة، موصودة، وأسرار مفقودة؛ هو ذلك بعض من الحب يا من لم تبلغ سن رُشده رغم شيخوختك وعقليتك المتخشبة!

وحده اللقاء يُطفئ نار الشوق، بعض العناق خراطيش مياه تُخمد نيران ثورة الشوق، وتُطفئ فتنة العاشقين!

إلى الذين لا يُجيدون لُغة الحُب، أنصحكم بمعاودة طبيب استشاري للأمراض النفسية، فالكراهية فيكم فتوى دينية مزورة، متى ما تخليتم منها عُدتم لحظيرة الحياة دون عوائق.. من يخاطبنا بلغة

الأسماء والألفاظ والألقاب والمذاهب قولوا له إنك تعبر عن واقعك، عن نقص ألقاب في داخلك، فنحن من يصنع الأسماء، لا الأسماء تصنعنا!

من يُغرمك على اسمك، أو يزجرك على عنوانك، أو يغتالك على لقبك؛ أعلم أنك أكبر منهُ، ولهذا يغتاظ منك!

لا أحد يغدر ويطعن بالظهر إلا من هو في الخلف أصلًا، طعنة الظهر أكبر دليل على إنك في المُقدمة!

أمة تلعب بالمُقدس؛ على أنهُ بضاعة ومصدر رزق، هذا يُبسط نصًّا دينيًّا الرصيف، وذاك يفترش آية على الأرض، وآخر يفتح مول فتاوى جاهزة وبأسعار تنافسية، وهناك تخفيضات واسعة، تصل لدرجة أشتري فتويين وآخذ واحدة هدية!

لأنَّ الدين تُحفة ثمينة، أُعلن عنه في مزايدة علنية لمن يُزيد عليه، ما يحكم الدين فقط المال، لا الشرف والا الأخلاق، أمة تلعب بالنار وتعتقد أنها تلعب بأنفها، مخطئة تلك العقول المحجبة من عري الحقيقة.. القيم فينا تتعرّض لمساطحة وثقافة رجال الدين هي الجرافات التي تسوي المباني بالأرض بحجة أنها تعوق حركة استرسال ألحان السماء!

ما أفجع هذه الأمة(!) صوت الباطل قنابل ومفرقعات تهدر في مسامعنا وتدوّي بشراسة، وصوت الحق عورة لا يجوز سماعه!

***

المجرم لا يميز بين زيد وعبيد؛ حينما تدق ساعة الصفر حسب توقيت شهوتهِ الغامرة بالفجور والمنكر المُباح ليفجر نفسه على مسجد أو سوق شعبية أو مول ملابس!

ما بال هؤلاء المُعدمين! وكيف يفكرون، إنهم يفجرون الأسواق الشعبية وأكشاك الخُضار بدعوة أنَّ فاكهة الجنة أفضل!

ويحرقون مولات الملابس ويطالبوننا بغطاء الرأس، يساعدون على التَّعرِّي وكشف العورات، فيفرضون الحجاب!

لا يهم أنْ توظف الدين؛ فيما لو استوفيت شروط اللعب، ما بال من كان معاقًا ومُقعدا لا تنطبق عليه شروط اللُّعبة، الإعاقة في التفكير وليس في الجسد .. إنَّ من يوظف الدين كلعبة، كان ينقصهُ روح رياضية عالية للعب!

المجرم قاتل حتى المسيح وكاكا حما وقدو وطاووس الملك، وكُل ما يعجبه نحره؛ المجرم ليس سنيًّا ولا شيعيًّا، المجرم يعتاش على دم السني والشيعي؛ القاتل لا ينحرنا، وإنما يجمع تبرُّعات دم لدعم ثقافة الفوضى.

أيها المُفتون إنْ لم يكن بوسعكم استصدار فتوى لم الشمل، فأصدروا فتوى تلمُّ ماء الحيض من تحت سراويلكم، البلل يُغرقكم لا نجادة لا تنقذكم، دم الكرادة لم ييبس بعد؛ أخضر كأغصان الزيتون!

من كان يؤمن بدخول الجنة بقتل الناس، لماذا لا يُجرب ذلك على أهله؟! أليس الإصلاح يبدأ من الذات؟! أليس الأقربون أولى بالمعروف إذا كان القتل عند الجلاد عملًا معروفًا؟!

أيها الجهلة المارقون رعاع الصحراء، أكلو الكلأ وخشخاش الأرض ولحوم الناس، صوموا عن أكل لحوم البشر وأفطروا على أكل لحم البغال! لحم البغال أهون من لحم البشر، وفق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، ولا ضرورة تُبيح أكل لحم الإنسان قطعًا!

مَنْ يقتل طفلًا إن هو إلا طفلٌ قبيح؛ فالطفولة ليست بالأجساد؛ وإنما بالعقول، سيافو البراعم قطفوا ورد حدائق وزهرات الحياة حتى لا تزهر، أو تورد، أو تبعث عطرًا جميلًا؛ إذا كانت الرجولة قتل الأطفال، فهنيئًا لكم رجولتكم!

"زين العابدين عمار المظفر" طفلٌ له صورة شخصية تُمزق نياط القلب، قست الأيام على جماليتها وخلابة المنظر؛ وإلى جوارها تمامًا صورة كدس فحم يُقال إنها لهُ، انتهت البراءة باقتطاف زهرات الطفولة!

مَنْ يدري ذلك؟ هل هذا هو الجهاد؟ هل هذا هو الإفتاء، هل هذا هو النصر؛ إذن فما هو فقه الهزيمة لديكم إذا كان النصر ذبح الطفل الصغير؟!

هل تنام الأم التي فقدت فلذة أكبادها؟! هل تنام أرملة فقدت زوجها؟! أو أُمٌّ وَدّعت ابنها دون عودة؟! أيُّها القَتَلة، بغداد مدينة للسلام، وليس للسلاح؛ صححوا لغتكم!

لم تبقَ مِنَ الفاجعة إلا شريطُ ذكريات محفور في محيط الوجدان، ومحفوظ في صندوق قلب الأم؛ وقميص قديم مُعلق على شماعة الجدار وبعض من الأمنيات الحالمة التي كان يُفكر في تحقيقها حالما يكبر؛ "أمير" فخامة الأناقة تُبكي!

كان "أمير" يحلم، لكن الموت يقتل فينا الحلم، ويقاتل فينا حتى من يحلم، فالقتلة يقتلوننا ويقتلون الحلم فينا؛ لأنهم بلا أحلام، لأنهم بيادق شرعية تحركها آلهة الظلام عن بعد؛ روبوتات مُخصصة لتنفيذ فتاوى مُعلبة لم تخضع للتقييس والسيطرة النوعية الأخلاقية!

كيف تخضع للتقييس، والحدود تصهل فيها خيل الكفار وتمرح؛ والوطن مسرح عمليات وصالة لولادة الموت كُلٌّ يحاول نقل المعركة من أرضه إليه!

وطنٌ نخرتهُ خُطب الجمعة، ومزَّقتهُ الفتاوى، ونحرت أشلاء الآيات؛ وقدمتهُ قرابين أضاحٍ للأعياد، هذا يُكفره ويُخرجهُ من الملة، وذاك يُعيدهُ إليها؛ أصبح الوطن سائق تاكسي بين الملة والرِّدة!

أوقفوا استيراد البضائع والسِّلع الأجنبية المستوردة، ومن بينها الفتاوى، لتدعيم البضائع المحلية، بضاعة هوليوود عكرت ذائقتنا وأسأت للقيم فينا، أيُّها الناس أنقذونا منا!

عثمان مِنْ أهالي العامرية يتبضَّع للعيد من مجمع الليث التجاري، لماذا لم يتبضع من مجمع البهيج التجاري؟ أليس أقرب له؟ لعله اشتهى الرّقص على طريقة التأبين، كان قدره أنْ يحضر حفلَ تأبينٍ وموسيقى صاخبة، كان قدره أنْ يُلاقي الربَّ مع زين العابدين؛ وعلي وعمر وفريد وكاكا حما والآخرين، يرحلا معًا، يعانقُ أحدهما الآخر، يُغادران على متن طاقم ملائكة في رحلةٍ واحدة وعلى مقعدٍ واحد، وفي توقيت واحد؛ لعل الجبناء ظنوا أنّا سنتمزق، خابوا وبئس ما فعلوا.

متى يُدرِكُ القتلة والمجرمون أنَّ السيارات المُفخخة قد تُمزِّقُ الأجساد إلى لأشلاء، لكنها أكثر من وحدت الأرواح نقوشًا في قطعة موزاييك واحدة!

مفخخاتكم، صهاريجكم، عانقتنا ضمَّت بعضنا لبعضٍ، ولم تفرقنا، لقد وحدتنا أسلحتكم، ووحدتنا همجيتكم، ووحدتنا "دعشنتكم"، وحدتنا قُدرة الله، عمر يغادر فجأة وعليّ يلحق به بنفس الأثناء، يرفض مغادرته، لرّبما استشعر انهُ لا يُجيد فقه العيش بدونه؛ "عمر" و"علي" فخامة الأسماء تكفي!

هذا يدفع ثمن عمره لمجرد رغبته في شراء قميص من مجمع الليث، وذلك يواجه مصير النار لمجرد أنهُ فكَّر بشراء حذاء من مول الهادي، فالقتلة حُفاة، يُكفرون من يرتدي حذاء، قناعة منهم أنَّ الحذاء بدعة محدثة من الأمور!

تحوَّلت الجُثث والأشلاء بفعل النابالم إلى شظايا متفحمة، متفسخة، مشوية، تصلح طعامًا للكلاب السائبة، أو طبق لذوي الجلاد وأطفاله، هنيئًا مريئًا لكم أكل لحم الشبق المُحرم!

ليس المهم أنهم ماتوا، المرحلة الأهم والأكثر ألم هي كيف يتم العثور على جثامينهم، التوابيت في انتظارهم، وهم للآن لم يخرجوا من المجمع، ما زالوا مُحاصرين، منهكين في تبضع الأكفان الأمريكية الفاخرة!

بعدما عجز الأهلُ عن إيجاد ابنهم (عمر) من بين الجثث المُتفحمة والمُتراكمة في برميل قمامة الموت، استعانوا بليلية، بحبيبتهُ عساها أنْ تميز رائحة جسد حبيبها! فالقلب دليل الإنسان الحقيقي دومًا!

***

"سرى" حبيبة "عمر" قصة حبٍّ أكثر من شرقية؛ عشق بغدادي، يمنع الأهل لقاءهما، حرصًا على ضوابط وعادات المجتمع، ويمنع الظرف الراهن وواقع المجتمع زواجهما؛ ولا يمانع الأهالي من ذلك، أغلب الناس هنا هم ضد الواقع ويرفضون الواقع، ولكن بانتظار

اللحظة المناسبة للوثوب على خرافتهِ، المجتمع والمذهب تابو إذا تجاوزه أحلَّ قتلك واستبيحت كل ممتلكاتك، مُجتمع شاخ وكبر؛ وفاتهُ أنْ يشرب حليب الأخلاق كامل الدسم!

سُرى فتاة عراقية أيزيدية، أصل أهلها من يزيد الموصل قبل السبي! أبوها مسلم سُنيٌّ من أهالي الأنبار، والأم أيزيدية، اُستُشهِدَ أبوها في أحد انفجارات بغداد العام 2007، كان ضابطًا في الجيش العراقي، اتَّبعت مذهبَ أمها "الأيزيدية" وعقيدتها، أخوها الأكبر سُنيٌّ، والوسط شيعي، والصغير لم يُقرِّر أيَّ مذهب يتبعهُ بعد، أما سرى فهي تجهل المذاهب وتنعت الطوائف، وتلعن المسميات، تفتخر بعراقيتها فقط، هاوية للغناء، صوتها شجي وجميل؛ لها صولة تجارب، وهي الآن في طريقها للظهور والشهرة!

هذه هي البيوتات العراقية في البيت الواحد تجد وطنًا مُصغرًا، موزاييك من نقوش الطوائف والمذاهب والأعراق، الأب سُنيٌّ، والأم شيعية، والإخوة يتقاسمون المذاهب والطوائف بالتساوي؛ موزاييكنا؛ سيراميكنا يُبغض الحُساد!

وبغداد مهما تتقدم وتتطورت، ما زالت التقاليد الأصيلة تربط الجميع، ووازع يضبط سلوكياتهم -، حاول أهل عمر الاتصال بسرى لإخبارها الحادثة، فسبقتهم بالاتصال بهم، تسألهم عن عمر:

- أهلًا سارة (أخت عمر) الوحيدة التي تعرف قصة حُب عمر وسرى.

- أهلًا سرى، بلعثمة واستكبار ألمٍ.

- ما بك؛ عمر مُغلق تليفونه؟

- لم تتحمل المشهد أجهشت بالعويل، سرى يُغمى عليها، دون أنْ تبوح سارة بالحادثة، انقطع الاتصال، انقطعت الأرواح بعضها عن بعض، رثاثة العولمة واصلت الأجساد، لكنها باعدت الأرواح؛ عولمة الموت جعلت بيوتنا قبورًا مهجورة أو مكتظة باليباب!

لقد صحت سرى بعدها على رماد، على جراد، على خيبة ما بعدها خيبة، الأحلام تعتذر منا لنا، لم يعد يعنيها في بغداد شيء، أصيبت بصدمة، كرهت بغداد بشغفٍ.

- ما بك؛ اهلها يسألونها بعد أنْ وُجِدَت فاقدة الوعي في بلاط غرفة نومها؟

- تُحدِّقُ فيها وبرأسها دوار، هل ستجيب على أخيها (فائق) بالحادث، هل ستقول له إنَّ حبيبي استُشْهِدَ؛ من ذا الذي يجرؤ، لقد جاوبتهم بصمت!

- ما بكِ سرى؟

- لا شيء، صُداع.

- لنُقلكِ للمستشفى.

- كلا، أنا بخير.

- أريد أنْ أنام.

دخلت غرفتها بعد أنْ تم سحبها منها إلى الصالة لتغيير أوكسجين الروح؛ صدمة موجعة، أنْ تفقد شخصًا كان كُلك أنتَ، والآن أنتَ وهو في غيابٍ تاريخي.

بعد ساعات اتصلت سارة، بعدما دار الحديث مع أهلها، عمر أمهُ متوفاة، فلا أحد يميزهُ عن بقية الجُثث إلا حبيبتهُ بعد أمه!، إنَّ بعض الحبيبات أمهات في الوفاء! سنتصل بسرى، عندها الدليل؟!

- أهلا سرى، من أجل عمر أريدك

- ما الأمر سارة؛ أريد أنْ تحضري للذهاب إلى موقع الفاجعة أو للطِّبِّ العدلي للتعرُّف إلى جُثة عمر.

- حسنًا، سأكون جاهزة وبانتظار اتصالٍ منكِ.

***

تخرج سرى على ذات عادتها، تتعطر أو تلبس الحُلي، وتضع المكياج، ترتدي الموضة، الفستان الأحمر، الذي كان يلفت نظر عمر فيها ويفتنهُ بها،- الفستان المفضل لعمر - لأنها على موعد مع حبيبها، للقاء مع عمر، فمن لم ترَه العين يراهُ القلب، ومَنْ لم يرَه القلب، يظل مُعلّقًا صورة حية في حائط الروح!

بعد ساعتين ونصف تقريبًا، اتصلت سارة، أنا جاهزة بانتظارك؛ لقد علم الأهل بوضع سرى، لكنهم قدروا الموقف رغم امتعاضهم، ورغم محافظتهم، لكن من أجل الإنسانية؛ إذ يبدو الحُب مُباحًا بشروطه رغم قيودهِ القبلية!

اندهش ذوو عمر من ملابس سرى، لكنهم عرفوا ما كان يدور في داخلها، أدركوا أنها ذاهبة لملاقاته، ما أوجع الحُب وأنتَ تدري أنكَ تبحث عن رماد في محرقة!

من بين عشرات الجُثث تدخل سرى بموقف مؤلم ومذهل ومخيف وحزين، جُثث ما زالت حتى اللحظة متعانقة مع بعضها البعض؛ تعطي إشارة للمجرمين بأننا متوحدون حتى في الموت، متوحدون حتى في المدفن، لن نتخلى عن بعضنا البعض، كُلما زادت قوة السيفور والنابالم لتفريقنا، تعاضدنا أكثر، كُلما زاد بنا الشوق زاد العناق!

***

لقد أصبحت الأرواح سونارًا للكشف، لتقصي خيوط الحقيقة، بعد أنْ فشلت الأجساد المبتلاة من كشف الدلالة وانغماسهم في كشف العورة، سرى تكتشف جُثة عمر المُتفحمة والضائعة ملامحها، تشير إليه فتجهش بالبكاء العفوي لتحوِّل براد الجُثث إلى براد دموع طازجة! تملأ القاعة عويلًا وضجيجًا يُعانقها أخوه وأخته وذووها؛ لقد كان للحُب قصة أخرى نرويها للأجيال بعد حين!

مهما تكن رائحة الموت بسرة وضنكة فرائحة الشهداء دومًا مسكًا وعبيرًا، يصلح عطرًا للأرواح؛ وللعقول البدوية تتعطر به ليحلو مظهرها!

***

فرائحة الشهيد تصلح عطورًا وهدايا للأحبة!

***

لم يعد هناك مجالس عزاء، بل مجالس عراء، كثيرًا ما يعجبنا العراء .. أمةٌ هوايتها البحث في القمامة، الأمة التي تدفن أكثر مما تُحيي، عارية لا تستحق الحياة، سكوتنا بارود يحشو سلاح المجرم ليفرّط في قتلنا، ليُجرب صلاحية سلاحه في نحرنا على قبلة تل أبيب!

(14)

كروب مَجالِس عَزاء الفيس بوك!

لمجالس العزاء قداستها، حُرمتها، ومكانتها في النفوس، فهي ليالٍ حداد، ومواساة وتأبين وتبادل أكاليل الحُزن مع باقة دموع ملونة بالأسى! لكن ما حال من يحول مجلس العزاء إلى ستوديو تصوير!

وتحويل الأسرار إلى عاهات مكشوفة، ومطروحة على طاولة النقاش والحديث الجريء، تبدو مجالس العزاء في وطني كأنها مجالس عراء! للمُزايدات الرخيصة، وفتل الأذرع وكشف العورات، ما دام يتحكم بعقليتنا تلك المسوّ الرديئة، وتُحيطنا رهبة تابوهات مزيفة لفقها هذا وذاك واعتبروها نصوصًا دينية لا يجوز حتى النظر إليها بعين النقد أو الإمعان أو المراجعة والتقرير بها!

وكأننا مدعوون لتصوير مشهدٍ تلفزيوني وليس تلبيةً لدعوة تعزية أخلاقية، هذا يحتضن ذوي القتيل "بوستر معدل على الفوتوشوب"، وذاك يعانق صورة الضحية، وآخر "يصور نفسه كمتأسف"، النتيجة أنْ تنزل الصورة في الإنستجرام للحصول على علامات الإعجاب؛ أدري هل أصبح الموت أعجاب!

وعلى ماذا نتعجب؟ وبماذا؟ ولماذا؟ بالجُثة أم بالقاتل المارد؟ العولمة جعلت منا أمة نُعجب بقتيلنا، ونفرح بضحيتنا، نحاول إحداث حادث سير مميتًا، أو نُفجر مقهًى حتى نُهرع لنصور السيلفيات مع الضحايا!

هيت لك يا عزاءات الروح، ومخارب القيم، وسيل العاهات الفجة، مجالس العزاء اليوم لا تختلف عن "المزرعة السعيدة" أو لعبة

"الكلاش" أو عن أي لُعبة إلكترونية، بالفعل هي مجالس للتنزّه، لا أحد قادم ليواسي ذوي الضحايا، وإنما لتغيير أجواء منزل الأفكار!

مَنْ حرَّم لعبة "الكلاش"، لماذا لم يُحرم لُعبة الدين؟!

فهو كمن ذلك الذي يمنع التدخين ويُبيح القتل!

إنهم يُحْيُون سُنة ضعيفة أو غير مُتفق عليها؛ فيما يُميتون فرضًا من فروض الله!

ما أفجع الأمة؛ وأفجع شعوبها المُنتهكة تابوهاتها بلذة مناضل، والمفضوضة بكارات نسائها، المُعراة ملابس حيائها الداخلية، المنهوش لحم حُرماتها، المُنكر موّغل في أعماق الشرف، وما أفجع صمتها المدوي الذي عمَّر طويلًا في كهوف نفوسها، دون أنْ يشق عصا طاعة سلطان الرّذيلة.

متى تحيا الأمة إذا كان الموت واجبًا دينيًّا مُقدسًا و"فرض عين" في شريعة القتالين!

بل متى تنتصر الرجولة على الفياغرا!

***

مجالس العزاء هنا للترّفيه والتهوية والاستجمام بعض المجالس كورنيشات إلكترونية يتفسح فيها الأصدقاء المفترضون، مجالس مُخصصة للاستجمام، ومقاه جماعية وكافيهات مختلطة، صوت العري والفجور فيها يعلو على صوت التلاوة والتأبين والنائحات الثكالى!

لقد أصبحت مجالس العزّاء؛ كالفيس بوك مُفرّغات هوائية نقصدها للتهوية وتغيير هواء مطابخ الأرواح المكتظة بروائح العنف والعصبية والجهل المقدس الذي خُلِّدَ في أسارير نومنا، وارتدى ملابسنا، وعانق أشلاءنا، ونام في مقبرة الأحلام!

لسنا بحاجة لتلاوة الأذكار على الموتى، عزاء الأحياء مُقدَّم على ما فاتنا، الموتى نحنُ وهم الأحياء، والتعزية للحيّ لا للميت، ونحن موتى بهيئة أحياء!

ما بال أمة اقرأ؛ الفاتحة تُقرأ كمنشور على الفيس بوك، والترحُّم والتصافُح "لايكات"، والترحيب "مُلصقات"، والمغادرة، بتحية أخيرة بمنشور وداع؛ ومن لم يرغب بمصافحة أحد، يتعذر بأنَّ النت ضعيفٌ للغاية!

لم يعد هناك حُرمة لميّت، لضحية، لتابو، لإمام، لمقدّس، لمجلس عزاء، لشيخٍ مُسن، لقد لعبت العولمة لعبتها القذرة في قيمتها، فزوَّرت الأخلاق والتاريخ وهي تمازج الفُحش؛ كيف حولت العولمة والتقانة تراثنا وثقافتنا إلى افتراضات ووهميات لا حقيقية لها، جعلت مشاعرنا أيقونات ننقلها لمن نحب بصيغة "فولدرات" ميتة!

قد تنتهي قصة حبٍّ كاملة، بضغطة زر أو عطب "هارد" أو عطل الكومبيوتر! تبًّا للتقنية قدست الأجساد، وانتهكت حُرمة المشاعر!

إذا كان الشرف يسقط في الملهى، فالحياء يسقط في المعركة، كُلنا مُخترقون، نافذون في الجريمة، سكوتنا عن قول الحق أعطى فرصة للباطل أنْ يتكلم بجدارة!

صمتنا كثيرًا وكثيرًا، فيما يبدو أنَّ صمتنا عن الحق دعم للباطل!

متى نصرخ لرتق ثقوب تابوهاتنا؟

الإسلام يعاني المسلمين، والعرب تعاني العرب، والإنسان يعاني إنسانيتهُ، أيها البشر خذلتمونا، وأضحكتم الحيوانات علينا، حتى الحمار ندب حظهُ، وأندى جبينهُ على بطشكم، متى ننقذ الإنسانية منا!

إنَّ الغباء فينا هو أنْ نُهرع بخُطى الهرولة والماراثون إلى موقع الفاجعة لا لنواسي، أو ننتشل، أو نسعف، أو ننقذ، وإنما لنصور سيلفي!

ما أقبح العقل المُلتحي فينا!

من يُقتل في بلادي حيٌّ يُرزق، أما الأموات ممن يقيمون في بغداد وضواحيها! قبورنا أنقى من البيوت وأكثر طمأنينة، مؤثثة ومكيفة، وآمنة، تصلح للإيجار أو السكن!

وطنْي أحياء مُكتظة بالموتى، والمقابر آهلةٌ بالأحياء.. الجُثث شوارع تتزّه فيها المارة، والناس المُشردون يُقيمون في بيوتات من

صفيحٍ في المقابر، كمواطنين لا كدفانين، رُفات بهيكل أرواح، وأرواح مُعلقة على شماعة الأجساد بدبابيس القدر، من يحيا في مقابرنا ليسوا موتى، وإنما أحياءٌ في طريقهم إلى الموت!

أَحْيَاءٌ في أحياء مُكتظة بالمجهول واليباب، نتقاسم خُبز المعاناة بيننا لتلافي مجاعتنا، نمدُّ بِساط من الأمل؛ كُلما علت هلاهل بغضهم وأهازيجهم البدوية تعالت هاماتنا رفعة وزهوًا؛ نحن لا نموت إلا كالنخيل؛ رفعًا بالمشانق، المشانق وحدها من تجعل الضحية أعلى من الجلاد!

متى يعرف الجلاد أنَّ المشانق للرِّفعة لا للانتكاسة (؟!) الإنسان لا يموت في موت الجسد، ولا في غياب الروح؛ فنهاية الإنسان تبدأ بموت الضمير، أو تنصُّل الأخلاق عن محيط سلوكه؛ فكم واحد منا اليوم بحاجة لمجلس عزاء في داخله؛ يَنعي نفسه، ويُعزّيها، ويشيعها؛ ويدفن ضميره في محيط حديقة الروح، أو يرميها في برميل القُمامة!

وكم شخص منا بحاجة لأنْ يضع أكليل ورد تعزية فوق جُثة رأسه؛ باعتباره ميتًا؛ ما ينقصنا نحن الأحياء في أوطاننا العربية هو فقط أنْ نعلن أننا موتى نتلو بيانًا في مؤتمر صحفي!

***

المُؤسف أنه حتى مجالس العزاء لم تعد لها حُرمتها، بعضها يهتكها قذيفة هاون أو يستهدفها جنون البشر، وبعضها أصبحت مجالس عزاء إلكترونية، تُدار بريموت المُعزِّين وماوس "المعازيب"، عبارة عن أيقونات!

كيف أصبحنا نواري ثرى الميت وندفنه ونشيعه ونستقبل التعازي عبر الإنترنت، حتى حُزننا البدوي تجرَّد من رمزيته، أخو الضحية يجلس وراء (كيبورد حاسوبه) لينشر صورًا عن حادثة موت أخيه ويستقبل التعازي بضحكة غامرة، أو شخصٍ يجلس في (الجروبات) وغرف الدردشة ومشاركة الناس منشوراتهم، بأي حال نحن حتى نجلس وراء كُرسي اعتراف مجاني لنُدلي بتعليقاتنا ونستقبل تعازينا عن ذوينا الضحية!

حتى الحُزن لم يعد له طعمٌ أو معنى، أنتَ حزين إذن أنتَ بدائي ومُتخلف .. ما أفجع الأمة! أصبح فيها فقدان الأقارب لا يختلف عن حُزن فقدان محفظة نقود فارغة!

ليس بالضرورة أنْ تشارك ذوي الفقيد بحزنهُ ومواساته، يكفي أنك تشاركهُ المنشور .. يا إلهي! هل هو مجلس عراء أم مجلس عزاء!

شاركْ المفجوع منشوره، وكُفَّ عن مشاركتهِ الفاجعة؛ إنها عولمة في الدعارة!

أشعر بالحنين لحادث سير مُؤْسف، لفاجعة، لمجزرة في محيط الأرواح، لهولوكوست مُدمر، لهجوم صاروخي مخيف، علهُ يُوقِظُ

ضميرنا من نومه؛ لقد طال السُّبات، ومياه الحيض والبلل لامست كرامتنا دون أنْ نصحو أو نسعف حالنا!

أيُّها العالم أسعفنا حاول أنْ تنقذنا من عارنا، ولو بخطاف أوبئة أو رافعة أنقاض .. فليس هناك أنقاضٌ أوبأ من إنسانيتنا المتوحِّشة!

- الخطاف: وضعكم مزرٍ وفوق التصورات؟

- نحن: أنقذ منا ما استطعت؟

- لا يمكنني ذلك مطلقًا؟

- حاول من أجل الإنسانية.

- من أجل الإنسانية أحاول إنقاذ خطافي ورافعتي من لوثتكم ولا أتمكن!

- لهذا الحدِّ نحن طاعنون في المنكر؟

- وأشد قسوة؛ إني لأخجل من مصارحتكم بالحقيقة!

كيف لا ونحن نستعمل همجيتنا لاقتناص ذوينا، نحن في غمرة خمرٍ شَرعيٍّ مُباح لنا بفتوى خاصة! الخمر يغفلك عن الصلاة، فحُرِّمَ أو نُهِيَ عنه، فما حكم من يشرب خمر الدم؛ ألا يفسد الدم صلاة الجلاد!

مَنْ قتل طفولتنا في الكرادة؟ الأجساد أم الأرواح الشريرة؟ حتى الأجساد فينا بريئة مما تفعل، الأجساد المشبوقة، والمنتهكة بغير

رغبتها، فهي ليست إلا أداة، وجندي موظف وعامل خدمة يعمل في بلدية الأفكار!

مَنْ يقتل الإنسانية فينا أفكارٌ وليست أعمالٌ عسكرية، أرواح وليست أجسادًا، تفسيرات الموتى تخدعنا، تُشوِّه الإيمان فينا، تدعونا لمأدبة طعام في أفخر مطاعم الجنة، الدعوة ليس عامة، وإنما إجبارية!

الوطن يسير بالاتجاه الخطأ، "رون سايد"، يتسبب في حوادث دهسه بنفسه! متى نصحح مسار الوطن؛ ونصهل بقول الحقيقة، قول الحق باهظ وثمين ومُكلِّف، مَنْ لا يملك رصيدًا ورأسمالًا من الرجولة فعليه أنْ يقبل بفقر الأنوثة صاغرًا!

أيها الساسة والنُّخب لسنا بحاجة لسجون مُترامية على غرار أبي غريب أو بوزن غوانتنامو، وإنما بحاجة لسجون للأفكار، نعتقل فيها العقول المتسخة، نحتاج لسجون العقل، تكون إصلاحية للنفس والتفكير، ما الذي أنتجتهُ غوانتنامو غير فتاوى القتال ضد العرب والمسلمين!

غوانتنامو ليس سجنًا، وإنما معسكر للتهيئة على القتال والجهاد والنضال، ومعرفة حمل سلاح آيات السيف على الكتف وتصويبها على فروات الرؤوس، غوانتنامو هي ليست إلا معسكر تدريب على قتال العرب والمسلمين، وغوانتنامو مفقس لتنامي أفراخ الإرهاب، لعل جُل ما يشغل تفكيرنا هو قول إنَّ غوانتنامو مدرسة أمريكية وطُلابها مسلمون!

لقد أصبحت السجون مدارس لتخريج القتلة، وليست إصلاحيات للهداية والعوّدة إلى جادة الصواب، برأيكم ما الفائدة إذن من السجون؟ ألا يجدر بنا أنْ نوقف عمليات الاعتقال والدهم للناس، ونتفرغ لعمليات اعتقال العقول لتهذيبها وترويضها!

لو لم يُخلق سجن بوكا وأبي غريب، لما نما ذلك التطرف بتلك البشاعة، فالسجون تصنع المجرمين لا تُغيِّر سلوكهم، ما الفائدة من سجون تساعد على صناعة العنف!

متى ندرك أننا نسير في الطريق الخطأ؟! أحنُّ لصهريج غير مُرقم يدهس هذه الرحلة في الاتجاه المعاكس ولا يُبقِ على آثار أو خيط للجريمة!

مُذ سنوات ونحن نسير في الاتجاه المعاكس، أوقعنا في حوادث سير مؤسفة، وتسببنا في موت الآلاف، ولا شرطي مرور يوقف حركة عجلاتنا، ولا إشارة ضوءٍ تعاقبنا بالوقوف، أما آنَ لنا أنْ نغير تلك الجهة؟! شرطي مرورٍ واحد يكفي لإنقاذ وطن!

لسنا بحاجة لأطباء ومهندسين وفلاسفة وعلماء ورجال دين وخطباء وفنانين وشعراء وصحفيين لم ينقذوا حتى أنفسهم من الوقوع في بركة العنف!

متى تصحو الأمة، لقد أذهلني تقويمها، كُل يومها ليل وليل، لا نهار فيها، كيف لا والفكر الظلامي هو مَنْ يتحكم بمفاصلها ويتسبب

في حالات اختناق يومي في بغداد الحُزن الكربلائي والمواويل القادمة على صهوة النائحات!

هناك في معامل كبريت الحياة الحذرة، نعم نحن لا نُقيم في وطن بل في عُلبة كبريت نمتدُّ فيها بحبل من نار، عود ثقاب يجاور عود ثقاب، كُلنا في ركبٍ واحد إما أنْ نحيا جميعًا أو نموت أجمعنا!

متى نتعلم الدرس، رغم صعوبتهِ، لكن كيف نعي ذلك الدرس، والجهل المُقدس فينا معلم طائفية مُختص وماهر في التدريس في خمسة أيام؛ لعل الشرف في وطن بحاجة إلى دورة تقوية ودرس خصوصي!

مَنْ يُنقِذُنا من توابيت الحياة، توابيت مصنوعة من الصندل وعظام الموتى ورفاتهم، ومُذهبة بدعوات الأنبياء، فنحن لا نُقيم في وطن، بل وطن بهيئة تابوت، غُراة لنفاد بضاعة الأكفان، عابقون بالرّذاذ لنفاد المناديل، مدفونون في العراء جُثث على قيد الوطن لتعب الدفانين!

مَنْ ينقذنا من بربريتنا، بشاعتنا، جهلنا المُقدس .. صلاتنا باطلة يا عرب، كيف نُصلي، ونحن على قذارة التطرف والعنف الأصولي، كيف نتطهر ومياهنا آسنة، أدرار وحيض وبلل ومخاط!

وكيف نَتيمَّم، والأرض قبور مترامية الأطراف، نصفها مدافن، ونصفها الآخر دورات مياه!

لم هناك تابو أو حُرمة حتى لمجالس العزاء، كما لم تعد المجالس بيوتات من الشعر أو "جوادر" من الخام المُضاد للشمس والبيئة أو

سرّادق مُخصصة لحفلات التأبين، بفضل التقنية العالية أصبحت مجالس العزاء في وطني عبارة عن كروبات بين شُبان شبكات التواصل الاجتماعي؛ والمُلفت والمُثير للرغبة أنَّ المجالس مُختلطة مثل حمامات السباحة في عواصم دولة الخلافة(!) وبعضها يُعزي ذوي الضحايا وهُنْ مُرتديات "مايوهات إسلامية"، وهذا أكبر دليل على أنَّ الأخلاق مطمية بالوحول، والقيم غارقة بالحيض لا يمكن استعادتها بدون الإبحار والسباحة بالـ "مايوهات إسلامية"!

***

الضحايا ما زالوا عالقين في مبنى الانفجار، وسيارات الإسعاف لا تقد السير مُسرعة، وشاحنات الإطفاء، تحتاج لعود ثقاب، وبعضها مُحمل بالبنزين لإطفاء الجُثث!

بفضل التقنية والتكنولوجيا وحداثة العولمة، أصبح الفيس بوك مُكتظ بالجُثث؛ والمقبرة في "اليوميات" توارى الجُثث، ويستقبل ذوي الضحايا المُعزين في الكروبات وتسجيلات الإعجاب!

أمة بارعة في فهم التقنية؛ عندها التطور يتبلور في إطالة اللحية، وتقصير التنورة، تقنية مُتخصصة في فضح العقل البدوي، اختصار النهضة في مشاهدة الجميع ومشاركة العورة إظهار الركبة للكل! كإعلان مُموَّل!

فهي لا تحتاج لمعلم أو مُدرب؛ تجيد لغة الجهل المُقدس في خمسة أيام دون معلم!

ولبقة في فهم الطائفية بدون دورات تقوية .. بخصوص التقوية؛ لماذا يبتكر أطباء العالم حبوب تقوية الجنس، ويعجزون عن ابتكار حبوب تقوية الأخلاق!

عالمٌ مُنكر، همهُ الجنس والمادة؛ أمَّا الأخلاق، فهي عندهُ كالدولار، يومًا يصعد ويومًا يهبط!

سيلفي مع جُثة يعد مشاركة إلكترونية، ومواساة لذوي الميت، من هنا تكسب أجرًا، ومن هنا تكسب لايكات .. ترى هل أصبح الأجر على اللايكات؟!

(15)

سُجُونُ العَقل

إنَّ نجاح المهمة العسكرية التي يقوم بها الجستابو الديني في مسرح العمليات يتطلَّب توافر هذه التراتبية:

- غرب يصنع الجريمة.
- صهيونية ترعاها.
- جستابو الإسلامي ينفذها.
- بوليس يجلي الضحايا ويحصي الأرقام.

- قاتل يسرق الأسمال ومحفظة النقود.

- كلاب بوليسية تعتاش عليها! حتى لا نتسبب في إحداث أزمة سكن للموتى! العرب أمةٌ تُشتَهَرُ بالقتل، وتفتقر للمقابر!

فيما يبقى الإنسان الناجي من الموت - أو من في طريقه إلى المقبرة - في الوطن العربي لا يحق له التنقل في بلاده إلا في ثلاثة أماكن بحرية تامة:

- العيش في السجن برفاهية.

- الرقود في المستشفى بعناية مركزة.

- النوم في المقبرة بهدوء.

المواطن العربي يعيش موتهُ برفاهية!

***

مَنْ قتلَ الأبرياء في الكرادة، وكُل أحياء بغداد وضواحيها، والتخوم والحزام والمحافظات الملاصقة للعاصمة هم سجناء تحرروا جسديًّا من السجون والمعتقلات، هم صحيح تحرروا من قبضة العدالة والقضبان الحديدية لكنهم ما زالوا معتقلين نفسيًّا؛ وهذا هو أسوأ الاعتقال!

ما زالوا مرضى، بعض السجناء لا يحتاجون إلى سجن انفرادي أو حجرة مُحكمة الأقفال وممنوعة الأضواء أو إقامة جبرية على جسده

أو جلد لأحد أعضائه، وإنما بحاجة لمصحات عقلية، لشماعة جديدة، فمن يُمارس مهنة القتل هو مريض وليس مؤمنًا فوقَ الزيادة!

قَتْلُ الناس على هوياتهم وطوائفهم ومسمياتهم هو جريمة بحق الإسلام وبحق الإنسانية، هذا إنْ بقت هُناك ثمة إنسانية والكرادة صرخة حية بوجه التابوهات المُنتهكة، صرخة مظلوم من نافذة الأنقاض، من تحت النار يصرخ الضحايا، لا مُنقذ لهم، رافعو الأنقاض يرفعون الرُّكام للتصوير لا للنجدة!

وسيارات الإسعاف لم تحضر إلا بعد جلاء المكان بالكامل، والإسعاف المدني جاء بدون مياه، عول الناس بضجيجه، وانتهى كمن ينفخ بالنار ليُطفئها!

ذلك الشابو يتحكم في مفاصل الحياة، كلاعب الشطرنج؛ أناملهُ تتلاعب في رسم مصير الوطن، يوجه الإسعافات، يُجلي الضحايا، يتعامل كعريف حفلٍ جنائزي .. أخشى ما أخشى أنْ يكون الوطن متأمرًا على الوطن!

حذارِ من الإتجار بدم الأبرياء، لا تجعلوا جُثثَ فاجعة الكرادة للتسويق الإعلامي والتوظيف السياسي، فدماء الضحايا تابو .. لا تلوثوا التابو بشعاراتٍ رعناء مُستعملة، بأغانٍ دينية مُقدسة، وهلاهل زراعية تصلح لموسم حصاد ديني أو لاقتطاف ثمرة الشهداء ووضعها في سلة أدران السياسة.

اجنوا ثمار خيبتكم.. متى يدرك الآخرون أنَّ حرمة الإنسان وحمايتهُ أنبل من كُل شيء، حتى السماء تستغيث منكم، فالغبار، والمطر، والأتربة، والرعد والعثير، الرّماد هو بُكاء وغوث السماء من فعلكم، هو نداء للمرة الأخيرة! لعلكم تقلعون عن تدخين جُثثنا مارلبورو وجروت وغليونات نافرة!

أيها المُصدّحون بالدين جهارًا ونهارًا، السماء ترفض تلحينكم السماوي للمناداة، إنكم توظفونه فولكلورًا طائفيًّا، خابت مساعيكم في إعادة صياغة لحن السماء على طريقتكم البدوية التي أندت حياء جبين السماء!

مَنْ صَنَعَ الفاجعة في أوطاننا وضحانا هم ممن نالوا على شهادات تخرج من السجون وليس من الجامعات(!)، لماذا نحاول مرارًا إعادة تصحيح المناهج الدراسية وتغييرها، فيما لا نفكر بأمر هو أخطر مؤسسة تعليمية ألا وهي السجون، السجون حقًّا هي مؤسسة تعليم للغة العنف الأصولي والتطرف الديني والتدريب على مهنة القتل، كان يجدر بساستنا ونخبتنا ودُعاة الإصلاح إعادة ترميم السجون بدءًا من عناوينها ومِنْ حاويات قاذوراتها!

لا أدري لماذا يُحارب التعليم في وطني، هل الجهل المُقدس أحكم قبضتهِ على النور، وصار هو النهضة والتقدُّم، ولا أدري لماذا نُحارب العلم، ولماذا نغلق كُل المنافذ أمام الإبداع والثقافة؛ هل هي وصية أبي

جهل لنا أنْ نُقاتل ضد العلم، ضد التعلم، ضد الإبداع، سياسات الدولة تحارب العلم بحجة التقشُّف، وتبذخ الأموال الطائلة على السهرات والسفرات وعمليات تجميل عاهات النواب!

الشحاذون والمتسوّلون وشُذاذ الأفاق والمعاقون يملؤون الشوارع والطرقات وأبواب المساجد وقصور الأمراء ودورات المياه، بحثًا عمَّا يسد رمقهم عطشهم للمال، وطنٌ ينام على منجم من الذهب ويصحو على خراب ورماد وجوع وفاقة وصرخات جياعًا تملأ الأفق ضجيجًا!

متى يتنور العقل العربي، ويتخلى عن لحيتهِ الكثّة؟ ألسنا بحاجة لديوجين عله يشعل مصباح الإضاءة في غُرف تفكيرنا المُظلم!

وطنٌ نصفه معاقون، ونصفه الآخر في طريقهم للإعاقة!، إننا لا نحتاج لإحصاء سكاني، يكفي أنْ نُحصي ضحايانا ونودعهم في قوافل تعمل يوميًّا على نقل الجُثث من بغداد إلى الجنة، خط نقل نشط وفعال ومُدرٌّ للأرباح، فيه حركة سير قوية، طريق بغداد - الجنة سالك ومؤمن، ومُعبَّد بدم يصلح للوضوء!

"بغداد - الجنة" خط نقل مُعافى من أية عثرات أو عراقيل، لهذا أصبح الموت في بلادي مهنة الجميع ضد الجميع، في طريق بغداد - الجنة كُل شيء يسير بانسيابية وتراتُبية واحدة، لعل جُل ما أخشاه أنْ تتحكم بهذا الخط النقابة العامة لوزارة النقل!

دماؤنا رخيصة كقناني المياه المعبأة، والناس هناك يُحبون السفر، وشركات السفر مكتظة بالسياح، والحجوزات طوابير ممتدة، والتذاكر مجانًا!

مَنْ قتل الإنسانية فينا هُم ليسوا خريجي جامعات ومعاهد أكاديمية، الأمية والجهل هي من قتلت الإنسانية فينا ومثلت بجُثة الضمير، ونالت من القيم، واستباحت الحُرمات وانتهكت الأعراض، وحولت الإسلام إلى تُهمة، أنتَ مُسلم إذن أنتَ إرهابي وقاتل مأجور؛ بعضنا يُقبض عليه متلبسًا بجنحتهِ لأنهُ عُثر على مصحفٍ بجيبه!

كيف أصبح اعتناق الإسلام جريمة مُخلة بالقيم؛ وكيف نتبرأ منها؛ هل الارتداد واعتناق البوذية أو السيخية سيُزيل تُهمة الإرهاب منا!

مَنْ أطلق سراح المعتقلين من سجن أبي غريب العام **2013**، مَنْ حَرَّرَ السُّجناء من المعتقلات، الإرهاب ليس فقط أنْ تقتل، يكفي أنْ تسكت على فاحشة العنف والإرهاب لتكون إرهابيًا!

مَنْ ساعد على تهريب المطلوبين، المجرم لا يقتل بدون جو ومناخ رحب للتنفيذ، القاتل لا يأتي من الصحراء ببداوتهِ ليدخل العاصمة ويتجوّل في شوارع يجهل أسماءها وعناوينها ويجهل حتى اتجاهات السير فيها، ثم كيف يكون ذلك وهو لا يعرف أين يقع مجمع الليث

التجاري أو مول هادي سنتر أو أين هي أرخيته[4] والبوشجاع وأبو أقلام[5]، حتى البغداديون أنفسهم وغالبيتهم لا يميزون المناطق بدقة المُنفذ والإرهابي المُجرم؛ أليس الأمر مُثيرًا للتساؤل؟!

المُجرم ليس بالضرورة أنْ يكون انتحاريًا؛ أخطر المجرمين هم المدبرون والمخططون وليس المُنفذون، المنفذ يصلح لعملية واحدة ويُقتل، الانتحارون مثل شيفرة جوليت الحلاقة لا يصلحون للاستخدام إلا مرّة واحدة!

أما العقل المدُبر فهو مصنع لصناعة الانتحارين، ومفقس لتفريخ القتلة!

الموّجع أنَّه حتى اللحظة لم يلتفت أحد إلى قضية السجون، وتحويلها إلى إصلاحيات ومراكز تربوية، وتوعية وتبشير وهداية وإنقاذ العقول الغارقة في وحل وحضيض الجهل والعنف والتطرف إلى مرفأ العلم والتعلُّم والإبداع من خِلال مساعدتهم على قراءة الكتب القيمة والمهمة روايات، قصصًا، شعرًا، أدبًا وثقافة عامة دينية وسياسية، الأدب أكبر مُروِّض للأنفس البشرية، والهادي لبَرِّ الثقافة، إنْ لم تقرأ رواية كأنما لم تقرأ عن الثقافة، الرواية أسلوب محترف للمطاولة، المشاغلة، الاسترسال، الترابط الوظيفي للكلام، أهمها

[4] أرخيته: نسبة إلى السيدة أرخيتة بنت بدر من أهل محلة باب الشيخ، وكانت تمتلك بستانًا. ثم اشتراها اليهودي أفرايم بلبلوك سنة (1930) وقسمه إلى محال وشوارع.
[5] أبو أقلام: كانت بستانًا للحاج عبد الغني درويش المعروف بأبي أقلام نسبة لدخوله في صفقة تجارية وشراء كميات كبيرة من أقلام القصب المستخدمة في الكتابة.

نقاوة الروح؛ فالرواية هي مفرغة هوائية لتغيير أجواء مطبخ الروح من الروائح والانبعاثات النفسية؛ لو يقرأ المُجرم رواية واحدة لكفر عن إرهابه وتاب!

لكن هل تعتقدون أنَّ الإرهابي يقرأ ويكتب؟!

كان يجدر بحكوماتنا العربية أنْ تُرمم الأخلاق قبل المباني، والعقول قبل الوجوه، والأرواح قبل الأجساد، فالحيطان والمباني هي مُجرد طوب أحمر، أضفى عليه الناس تابو وألبسوه قداسة شكلية من أجل درّ أرباح سياسية ومنافع وثروات، ليس هناك عري أكثر من عاهة الأخلاق والتفكير!

لعل إصلاح الجدران يتم بتبييضها وتلوينها بمجرد طلاء ودهان مُصنع؛ والوجوه والأقنعة يمكن إخفاء كُل عيوبها وعلامها الفارقة بثمة عمليات تجميل، لكن من يُجمل العقل فينا؟

لا أعتقد أننا بحاجة لعمليات تجميل الوجوه من العاهات بقدر ما نحن بحاجة لعمليات تجميل العقول من الجهل والخرافة والقتل والتطرف!

الكرادة ليس نهاية الفاجعة؛ أخشى على الوطن من الكرادة، من أنْ يتحول كُل بيت إلى مناحة ومأتم؛ وأخشى أكثر من أنْ يُصبح النابالم والسيفور في متناول المتدينين المتشددين الذين يبلغون سَنَّ الفقه بعد!

كُفُّوا عن السليفيات، والتصوير الحيّ، وكُفُّوا عن نشر الصور والبوسترات والتعزيه والتأبين؛ أسعفوا حالكم، أغيثوا أنفسكم، فمن يضمن أنَّكم ستموتون موتةً أهون من فاجعة الكرادة! إنْ كان الموتى مفقودين حتى اللحظة، لربما نواري الثرى دون أنْ نُدفن، نُشيّع دون أنْ نحضر، نستقبل بطاقات التعازي على جُثة لم نعثر عليها؛ الموتى سُكان الوطن!

الكثير من برادات الجُثث أصبحت مقابرَ دائمة، لجُثث مشوهة لم يتعرف عليها ذووها، لم يُبقِ الجلاد علامة فارقة، حتى الأسمال ومحفظة النقود سطوا عليها بُغته؛ من يسرق محفظة نقود الضحية؟!

الذين صبغوا العالم بالنعيب الأسود في مجزرة الكرادة، أو مخيم النازحين في الدورة أو مرقد الإمام السيد محمد؛ كان صِبغهم مُجرد تنبيه لذوي الشأن إلى ضرورة صبغ السجون والمعتقلات بأصباغ التوعية والهداية والإصلاح والتبشير وطلاء يلمع الأذهان والأفكار ويُجملها من التشوّهات وتراكمات الأزمنة الغابرة.

إنَّ إصلاح حال معتقل واحد وإخراجه من السجن مُروَّضًا وآمنًا أفضل بكثير من إدخال شخص للمسجد وهو غير سليم العقل وسيِّئ التفكير!

نحتاج إلى سجون تأمر بالمعروف والهُدى، وتَنْهَى عن الفحشاء والمُنكر، سجن للترويض أحق بالترميم من مسجد ضرار!

ما بال هذه الأمة من المحيط إلى الخليج، ومن البحر إلى النهر مساجدها تكفر لا تغفر! ومدارسها تُجهِّل لا تُعلِّم، وسجونها تُعذِّب لا تصلح، ومستشفياتها تُصيب لا تُعافي، ومحاكمها تظلم لا تنصر، وشرطتها لا تجيد إلا دور حماية نفسها فقط!

الأمة تنهض بصولات رجالها وأفعالهم .. لا بالفياغرا!

الكرادة تحت النار، تحت القصف، تحت الرّماد، تحت الأنقاض، تحت الرُّكام، تحت رحمة الله؛ وهي الأمل الوحيد المتبقي!

أما آنَ للضمير الإنساني أنْ يصحو، أنْ يكيل بمكيال القيم، أنْ يساوي بين الإنسان الأبيض والأسود، الغربي والشرقي، لا تدعونا نُصدق قوله، إنَّ مطعمًا في ألمانيا مكتوب يافطة عريضة على رتاجه ممنوع دخول العرب الكلاب، هذه المقولة بدأت تقضُّ مضجعي؛ وتُصدق لدّي يوم أدركت أنَّ وسائل الإعلام تراقب حدث مقتل مصارع ثيران في إسبانيا على يد ثوره بشغفٍ وترحُّم، فيما لا أحد يلتفت إلى ما يحدث في بغداد؛ رغم أنَّ آلاف الثيران تعبث وتقتل وتُميت وتهتك الحُرمات، وتصرع عشرات الآمنين!

الإنسانية في خطر! لعل الحيوانات في الحدائق تلبِّي النداء وتنقذنا من مأزقنا، وكثير ممن ينتمون لمملكة البشر لا ينقذون أنفسهم حتى، فهم بحاجة لمقوٍ أخلاقي حتى تستقيم شهامتهم!

الموت في وطني نجاةٌ من الحياة، وهروبٌ ناجح لملاذٍ آمن، والبقاء في وطني على قيد الحياة، موت ذليل، يحتاج إلى دعوة أمٍّ صادقة الوعد؛ من يُقتل في وطني حيٌّ قد يُرزق؛ أما الأحياء فهم موتى لن يحيوا إلا مذلة!

حتى الناجون يشتمون مارك زوكربيرغ لأنه صنع الفيس بوك وهدم القيم!

ابنوا سجنًا للأفكار تغلقوا ألف سجنٍ للأجساد؛ تفتحوا مدرسة واحدة، تغلقوا مئة خلية إرهابية(!) ما بالكم بمن يُحارب العلم؛ وهو في الخط الأمامي من مواجهة الإرهاب في نزال شرس وحامي الوطيس!

كروبات وصفحات الفيس بوك مُكتظة بالجُثث تبعث رائحة الجنس والموت والبارود من يومياتها!

كيف أصبح الفيس بوك مقبرة للموتى .. ومحكمة تفتيش إسلامية لمعاقبة من لا يعلق تعليقات دينية أو "لايكات" مُباحة شرعيًّا؟!

الانفجارات تضرب قلب العواصم العربية؛ فيما يستثنى منها تل أبيب!

الانفجارات تضرب عواصم الخلافة؛ والمنفذون من بيت الخلافة، والانتحارون يريدون تطبيق الخِلافة، ومن ثمَّ ماتت الخلافة ونعيناها على الكروبات وغرف الشات والدردشة!

(16)

مَقْبَرَةُ الذِّكْرَيَاتِ

لقد كان فِقدان كتّاب حدثًا مُوجعًا، وقعٌ مدوٍ أحيا خلايا الذاكرة مرةً أخرى، مَنْ يملك رحمًا للإنجاب قادر على أنْ يَلِدَ مرةً أخرى وأخرى بها الكلمات من الممكن أنْ ننهض بكبوتنا ونستعيد ما فاتنا تعويضًا.

لكن ما يُنسيك فاجعةً مُرة إلا فاجعة أمر وأشد مرارة، مثلما لا تقتل المرأة في داخلك إلا امرأةٌ أخرى، الحياة ميدان صراع، والإنسان ذئب لأخية الإنسان، الإنسان أداة القتل، والقيم دومًا هي الضحية، أيها الناس أنقذونا مِنَّا!

لا يا هوبز ما نعيشه اليوم؛ غالط مقولتك ورجَّ أركان حقيقتها، ليس الإنسان ذئب أخيه الإنسان، في أوطاننا العربية فقط الإنسان كلبٌ لأخيه الإنسان؛ يعقر، ويعض، وينبو بوجه أخيه بشراسة نمرٍ ضارٍ؛ رغم أنهُ كلبٌ ويدرك ذلك حقًا!

عجبي على هذا العالم! يأخذ من الكلب مساوئه؛ يعض، وينبح، ويعقر، ثم يترك لهُ مهنة الوفاء ويتنازل عنها بحفاوة! الخيانة في دمنا لوّثت دَمَنا!

***

رغم فَجَاجة الحال؛ تفقد كُتب جُهد عُمرك ضيعت عمرًا من أجل إتمامها، لهو مأتم فكري كبير، لا يُدفن إلا في مقبرة الذكريات، لم تعد الذكريات مقبرة للنسيان، والحنين كُل لحظة يقرع باب صمتي ركلًا بأحذية من فولاذ! يحاول إهانتي أو النَّيْلَ من كرامتي!

فاجعة الكرادة أو بالأحرى هولوكوست بغداد لم تعد المسميات ذات وقع لديَّ، إذا الضمير مات أو وافاه الأجل؛ ليس المهم الأسماء، ما يوجعنا مصير الإنسانية وهو يعدو كالهارب، ماراثون سباق إلى منحدر المتاهة؛ كيف ونحن شعب نُقتل أمام وسائل الإعلام نقلًا حيًّا وبثًا مُباشِرًا؛ العالم لا يُواسِينا، وإنما يجد في قتلنا مادة خبرية صالحة للمتعة وهو يتناول الفطور أو الويسكي لذة المنتصر!

النصر لا يعني أنْ تقتل أحدًا أو مئةً أو ألفًا، أحيانًا يتحقق النصر في أنْ تتخلى عن مبادئك من أجل سياحة مجانية في ملاهي الروح!

وَقْعٌ مجنونٌ، موسيقى صاخبة حد الإذعان، ورعونة عازفٍ مبتذل يؤبن جُثثنا وهي ما زالت تحيا من جديد؛ يا إلهي! لماذا يدفنونا قبل أنْ نموت، ويحيوننا في غير موعدنا؟! أشتهي الرقص على موسيقى جنائزية، أنا مُثخن بالجراح .. مُحتقن بالحنين، مُفخخ بالدموع، دلوني على مأتم أُفْرِغُ فيه عيارات شجوني، وطن نغتاله ونمشي في جنازته، نعانقه سكاكين في الظهر، الإنسانية في خطر!

أبكي الضمير فيُغرق الروح بعويله؛ كيف لا وما زالت صورة تلك الطفلة الأنيقة "مريم" تراودنا خوفًا! أشباح ما زالت مُعلقة على جدران المول بدبابيس الانتحار، المومس ليست فقط تلك التي تستأجر وكرًا أو تمارس مهنة الدعارة، قتل الأبرياء قمة المنكر والفجور، ووطني صار وكرًا للفاحشة والمنكر، متى نتطهر من فكر الساقطات؟!

متى نحلق ذقن عقلنا العربي، الأمة تعاني ضِيقَ التَّنفس، والسيفور علبة سجائر القتلة يورثونها في صالة ضمائرنا؛ من ينقذنا إذا كان القتل فتوى دينية، وذبح الطفولة هي أعلى مراتب الجهاد!

أيُّها القَتَلة لماذا لوّثتم كتاب الله بفتاواكم؟! لماذا زوَّرتم نصوصه وحرَّفتم تنزيله وجعلتم كُتيبات صفراء تابو يُقتل من ينقدهُ؟! مَنْ أنتم؟! (نصرخ بقوة الفاجعة):

- مسلمون!

- ونحن مسلمون؛ تشرَّفنا بكم؟

- نحن لا نتشرَّف بكم!

- المسلم أخو المسلم.

- حالما ترتدوا إلى الله نؤاخيكم!

أخشى أنْ تكون إخوتنا؛ على غرار إخوة يوسف، أو إخوة قابيل وهابيل!

***

مَنْ أباحَ لكم قتلنا؟! أيُّ نصٍّ ديني طبقتموه علينا؟! أي آية قرآنية صارت سيفًا مسلولًا على رقابنا؟! ومَنْ قال لكم إنَّ الجهاد ضد الله فريضةٌ على كل مُسلم؟!

مَنْ نصَّبكم قُضاة وأنتم أقل من أنْ تكونوا دُعاة؟! الدين لا يمارس مهنتهِ أعور لا يرى إلا أنصاف الحلول!

لماذا لا نرى إلا للنصف الفارغ من الكأس ونحن خُبراء الكأس! ولكي تكون قاضيًا لشريعة الله أو يكفي أنْ تكون خريجَ معاهدِ السجون!

ولتكون قاضيًا في قتل الناس وتوزيع تأشيرات دخول الجنة يكفي أنْ تحمل شهادة موت مُصدقة من خارجية الدولة الفاشية الإسلامية المعاصرة، أيُّها العرب أوصيكم بالرّقاب الرّقاب؛ هي وحدها مَنْ تروي عطش السيوف وتستقيم المراجل فيكم!

أيُّها العرب ما نحتاجهُ ليس قُضاة في محاكم تفتيش إسلامية بقبطانها وفاتيكانها (!) وإنْ كنَّا نحتاج إلى شهود حَقٍّ في محكمة التاريخ!

***

بعد كُل فاجعة أو مجزرة يُخلَّد الشهداء والضحايا في مقبرة الذكريات؛ يتقاسم احتضانهم التابوت والأكفان والتراب، لم نعد

نسمع بهم إلا صورة قديمة على صفحة الفيس بوك، أو تغريدةٍ طيرٍ مقتول على تويتر بمناسبة مرور اليوبيل الذهبي للفاجعة!

حسين وعمر وعلي وفريد ومريم وحارث وسجاد وعثمان ويوحنا وشوان لم يحظوا بقبرٍ، كان السيفور ونترات الأمونيوم قد نالت منهم، وأبت إلا إنْ يدفنوا في العراء، بعضهم اتخذ ركنًا من براد الطِّبِّ العدليِّ ليُخلَّد به، وبعضهم ما زال عالقًا في جدران المول، وبعضهم الآخر مصيره مفقود؛ كصندوق أسود لحطام طائرة في عَرض البحر!

كُل الضحايا الذين ماتوا بدون مدفن ومقبرة، هم خالدون في مقبرة الذكريات، يقارعون النسيان، أرواح مُعلقة بدبابيس المجهول على جدران المتاهة .. لا هي للأرض ولا هي للسماء!

المفقودون ضحايا أتعبهم الانتظار، وأتعب عيون ذويهم من التأمل إلى الطريق البعيد أملًا في عودتهم، دون أنْ يعودوا للحياة ثانيةً!

- ستظل العين على الطريق.

- لن ينفعها شيئًا!

- الغياب مؤلم ومتعب بحاجة لعويل!

- أتعول على ذكرى.

- مقبرة الذكريات أفضل من مدينة مُزدحمة بضجيج الناس والمارة، ولا أحد يشعر بوجودك!

- الأهالي يتابعون الأخبار عن ذويهم على شاشات التلفاز.

- الأخبار لم تعد عاجلة؛ فهي أصبحت بائته مُجرد إعادة "حميها" على صفيحٍ ساخن، ومن ثم عرضها على الشاشات لدّر ثلاثة أثمان في آنٍ واحد؛ أدرْ دموع الضحايا.. وأدر الأرباح من التسويق الإعلامي.. وأدر وجه العالم والإنسانية عنا!

(17)

الرَّقْصُ على مُوسِيقى التَّأْبِينِ

أمكتوبٌ علينا أنْ نكون زرع الله المحصود مُسبقًا، قبل أنْ تينع ثمارنا تُختطف، تسقط بفعل جاذبية نيوتن؟ مَنْ يُصدق بنيوتن في وطن يُكفرهُ، لأنهُ غير مسلم، ولا أدري ما مصيرنا كوننا مسلمين لولا اختراعات وابتكارات الكفرة؟!

مَنْ أفتى بذلكَ؟ لماذا لا يُجرب القاضي صلاحية قوانينهُ في ابنه وأخيه وأختهُ؟ لماذا يجعلوننا ميدان اختبار لرمي الفتاوى المُعبأة بالبارود الأمريكي؟!

ويجربون صلاحية أسلحتهم العقائدية في فروات رؤوسنا؛ كحُفر وأقبيةٌ مظلمة؟!

يا نصير شمه، يا مارسيل خليفة، وياني، وزرياب، وبيتهوفن، وموزاريت، ووباخ أغمرونا بموسيقى الفالس!

مَن اختار لنا موسيقى التأبين والعزف الجنائزي ولم يَختر الفالس، أو بحيرة البجع، أو أرض السواد، أو المونامور؟! لماذا رَاقَصُونا في ملهى الإنسانية؟ ولم يراقصوننا في ملهى الدعارة؟!

كيف لجهالة فلسفة الأوباش أن يُحرموا الغناء والرقص مع أجيرة، فيما يراقصوننا على موسيقى القصف، والسيارات المفخخة رقصة السامبا؟!

أبدًا لم يُخطئوا في موسيقى التأبين إلينا .. لقد اختاروا لنا مفجوعة - عفوًا - مقطوعة أرض السواد الموحلة بالأطيان والمُنْكر؟ والفالس أنهر الدم المُسال؛ كالزيف الرِّعاف في مجاري بغداد، وموسيقى بحيرة البجع؛ تسبح فيها الأرواح المتفحمة بلياقة!

أيُّها الموسِيقيُّ الفاجع، ألحانك تُماسِكُنا، تشدُّ من أزرنا، تجعل مصيرنا واحد في سفينة النجاة مخرجنا، من بركة بحور دمك، أنتَ لم تقوَ على تشتيتنا؛ هل نسيتَ أنَّ الموسيقى تُعانِقُ لا تجافي؟! هل نسيتَ أنَّ الموسيقى تُجانسُ لا تُنافِرُ؟! إنَّ الموسيقى عِناقٌ ما بعدهُ عِناقٌ، إنَّ الموسيقى احتضانٌ للحبيب حتى النهاية!

كُلما تصاعَدَت وَتيرة مَدِّ الدم في بحور شوارِعنا تعانَقْنَا، تَماسَكْنا، رَسَمْنَا صورة من الألفة، فموت الإرهاب لا يقوى على الانتصار علينا ونحن مُوحَّدون، تعالوا ليُعانِقَ بعضُنا بعضًا عِناقَ صليبٍ لهلالٍ، عِناقَ أديانٍ ومعابدَ!

لعل الكرادة رسالةٌ حيةٌ للعالَم، ونقسخةٌ منها للقتلة والمُجرمين مفادها أنَّ مَنْ قَتَلَ عليًّا لن يكسب عُمَرَ، ومَنْ قَتَلَ محمدًا لن يربحَ المسيحَ!

كلانا في خَطِّ المُواجهة في العُمْق من النهاية؛ كلانا في نفس المصير، لن ينجو المسيحُ دون محمدٍ، أو عمرُ بدون عليٍّ، إما أنْ نحيا جميعًا أو نموت جميعًا، هذا مَركبُنا، القدر حَمَلَنا على رحلة واحدة، هكذا رُسمت قِسْمتُنا، وخَطَّ لنا القدر مسيرتنا ووجهتها، لقد اختار لنا القدر هذه الرحلة في الحياة، لا ضَيْرَ مَنْ يكون القبطان أو قائد المقود، نحن لا نبحث عن هويات أفقية للآخرين، المهم أنْ يكون إنسانًا بغض النظر عن عنوان سَكنِه أو اسم عشيرتهِ، المهم هو عنوان أخلاقي وكفى!

من يُفتي بقتل بفلان من الناس على طائفتهِ، فهو أفتى بقتل ابن جلدته، لأنهُ صنع فتوى مُضادة لفتواه، المُفْتونَ هم المَفْتُون!

ما الفرق بين المُفتي والمُفْتِن؟! لعل الأول يعيش على ثروة الثاني!

لن تربحَ أمةٌ تفتح النار على مواطنيها؛ أمةٌ تترك الدين بيد أطفال لم يبلغوا سِنَّ الفقهِ!

للدين علماء، وليس رجالًا مراهقين ما زالوا يحاولون قتل الإنسانية لإحياء الشريعة، ترى هل على اللا إنسان حرجٌ في العبادة!

ليس هناك فتوى وإنما فتنة؛ مَنْ يَقتُلني لأني من آل البيت، وجدي الحُسين وسلالتي تنتهي بهاشم فهو لا يُمثِّلُ الإسلام، وإنما يمثل إسلام صموئيل هنتنغتون؛ ومَنْ يَقتُلني لأني من صحابة رسول الله، وخليفتي عمر، فهو لا يمثل الإسلام، وإنما يمثل إسلام صموئيل هنتنغتون أيضًا!

هل تعرفون مَنْ صموئيل هنتنغتون؟! أنا أعرف أنكم تدركون من هو وما حجمه؛ لكن لزيادة المعلومة فقط، هنتنغتون مُستشرِقٌ أمريكي يهودي صهيوني تحديدًا - من المسيحيين المتصهينين في أمريكا-؛ ما بالكم بيهودي - صهيوني يصنع لكم هذا النوع من الإسلام!

لم تبقَ من ذكريات الحادثة إلا الدفن والتأبين؛ لكن ندفنُ مَنْ؟ والأغلبية إما جُثث متفحمة، أو أرواح هامدة، أو ذرات أجساد وأشلاء مُتناثرة، لم تعد القبور ودلالات القبور صالحة لنا، كيف نُقيم قبرًا معلومًا والجُثة مجهولة؟!

الأجدر بنا أنْ ندفنهم بمقبرةٍ جماعية، لا نرسُمُ لها عنوانًا على الخريطة؟!

في وطني حلمٌ أنْ تجد قبرًا حين تموت، أحد ذويَّ منذ عشرة أعوام ميت ولم نجد قبرًا له أو نعثر على رُفات، ما زال جُثةً على قيد الحياة!

مساكين موتانا، مستقبلهم مجهول قبل الموت، وبعد الموت ضياعٌ وتشرّد في الطرّقات، أرض السواد سواد بأثواب الحداد؛ فهي لا تصلح للصلاة، فبين كُل شبرٍ وآخر مقبرةٌ جماعية، ورُفات مجهولة لضحية قتلتها فتوى مُعلبة أو آية سيفٍ مزورة في التأويل!

في أرض السواد ممْنوع الرّقص؛ إلا في حفلات التأبين، موسيقى جنائزية ووقع موجع؛ جُثة تُعانِقُ جُثة حتى ينتهي الليل وتَرفعُ الشمس

عباءتها عن عورة النهار وعاهة المسوخ البشرية الناطقة بلغة العنف، في أرض السواد الحياة مُكلفة باهظة الثمن، والموت مجاني!

وكُل شيءٍ هناك مَدعاةٌ للعُهر، الجُثث العارية، الرّقص فوق الأشلاء، الأهازيج الجاهلية، تكبيرات القتلى، حساء الخمر فوق الجنائز!

لم يعد الوطن قابلًا للولادة؛ والمسوخ البشرية حولتهُ إلى دار رعاية معاقين وعجزة، الوطن صوت أرملة نائحة تحاول في كُل مرة استبدال نياحها بموسيقى تُروِّضُ الروح وتطرد شرور الحُزن، لكن سرعان ما تمدُّ لها يدًا خفيةً فتضع في فمها سيمفونية جنائزية، تدعوها للرّقص على موسيقى التأبين، كالسامبا، وأشد جنونًا!

النساء هنا لا يلبسن السّاد من أجل الحداد؛ وإنما لحضور حفلات الرقص الصاخبة في ملاهي الحياة؛ تأبينًا للذكرى، وردِّ اعتبارٍ للنسيان، بعض السواد فاتح شهية للعويل؛ لهذا خُلق الشرقيون سوداويَ العُيون!

أوطانُنا مشاريع ترميل؛ قائمة طويلة من الثكالى والناعيات والمعولات واللاطمات، يُشكلن فرقة إنشاد قومية أو فرقة عويل وطني للإفصاح والتعبير عن معانتهن!

لماذا أصبح العويل مهنْة نسائنا؟ ألأنَّ الأنظمة العربية عاجزة عن توفير فرص عمل ووظائف؟! أعرف أنَّ مهامَّ وزارة الأشغال والبلديات هو لتشغيل العاطلين وليس لتعطيل الشاغلين!

- ما اسمُكِ؟

- عُروبة.

- وما هوايتُكِ يا أختاه؟

- السباحة في بحر الدموع بمايوهٍ إسلاميٍّ!

***

إنَّ الكراسي أثمن السِّلع والبضائع في أوطاننا العربية؛ لأنها وحدها القادرة على إنقاذ المُعاقين من شَلَلِهِم الفكري وأمراضهم النفسية المُزمِنة!

(18)

سِيلْفِي مَعَ المَوْتَى

رسالةٌ نصيةٌ:

- إلى ضميرٍ ميِّت ...

- ونسخةٌ منها إلى كُل ضميرٍ مُستتر، بغطاء الدين!

- ونسخةٌ كاربونيةٌ أخرى إلى المُرابطين في غُرف الدردشة والشات الساهرين على أمن الوطن!

أيُّها المُهرولون إلى الفاجعة، إلى موقع المجزرة، إلى هولوكوستنا البشري، لا تنسوا "السيلفيات" والصور والفيديوهات مع الضحايا.. وسارعوا إلى الإنستجرام والفيس بوك .. فالسماء بانتظار أخباركم، وسيلفي مع جُثة واجبٌ دينيٌّ وأخلاقيٌّ!

احرصوا على تأدية واجباتكم الدينية لئلا يغضب عليكم رجال الدين!

ولا تنسوا أيها المُتابعونَ للحَدَث مِنْ خلف نافذة أجهزة الكومبيوتر والموبايلات الحساسة أنْ تضغطوا (لايك) للمشهد المبتسر، للجثث المُتفحمة، للفاجعة؛ ليس هناك أفجع من أنْ تضغطوا (إعجابًا) للصورة المشوّهة، فهذا يعني أنَّكم شددتم من أزرِ المجرم ليوغل في القتل فينا! وباركتموه على ما فعل فينا من جُرمٍ فاضحٍ!

هل أعجبكم المشهد؛ دوسوا (لايك)؛ ما أفجع الأمة تبكي على المشهد، وتُعجب بالفاجعة، أنسيَ مُؤسس الفيس بوك؛ أنَّ الأمة العربية تعيش مأساة (تراجيديا) في كل فصولها ومشاهدها وخواتيمها؟، كان يجدر به أنْ يُراعي ظروفنا وخصوصيتنا، كان يجدر به أنْ يُخصص زر (اندهاش)، أو (امتعاض)، أو (انزعاج)، بدلَ (الإعجاب)!

يا شهداء الكرادة، يا علي ويا عمر ويا عيسى وكاكا حما، لا تلوموا أمةً تأخذ السلفيات مع أرواحكم المُتفحمة، بل لوموا مارك زوكربيرغ الذي لم يخصص لكم خصوصية امتعاضٍ، ربما فاته أنْ يفعل ذلك؛ أو أنَّ الكرادة لم تكن فاجعة قبل اليوم!

أو ربما فاته أنَّ الفئات العمرية المستخدمة للفيس بوك غير متساوية من حث العقلية والأهلية والتفكير، أو أنها دون سِنِّ الدردشة!

الضحايا في كُل مكان، والقتلة في نفس المكان، والدفانون والمشيعون واللاطمون واللاهثون والموارون كلهم حضروا الفاجعة، لكن كلهم لم يحضروا إلا "أقنعةً ممكيجة"، لعلهم نسوا ضمائرهم في دولاب الملابس أو على شماعة الحائط!

يغذُّون السيرَ، يتسارعون خُيفة، يُهرولون ببشاعةٍ، كالصّخب لإنقاذ رغباتهم من صور السيلفي مع الموتى، مع الجُثث العامرة بالنار، والناقعة بالهشيم؛ لإنقاذ شهوتهم في التصوير، أمة في خِضم الفاجعة تتسارع لانتشال مرضها البيئي، نعم البيئي في إطفاء نزواتهم، صورة سيّلفي مع جُثة كخرطوم مياه يُطفئ حرائق الرغبة، صورة سيلفي مع ميّت تُعد تذكارًا في ألبوم الفيس بوك، قد تحصل من خلالها على عشرات (اللايكات)، أو بعض طلبات الصداقة من نساء الفيس وفتيات الدردشة، لعل غُرف الشات بديلة لغرف العناية المركزة لمن يعانون أمراضًا نفسية وعقلية، يتلقون فيها كُل ما يعيدهم لدورة الحياة من خلال زواجٍ إلكترونيٍّ أو عقد قِرانٍ افتراضيٍّ، أو عِناقٍ عالي التقنية!

لم تسعف الشرطة المحلية أو الأمن الداخلي أو الدفاع المدني أو رجال الإطفاء ضحايا الانفجار، كان رجال الفيس بوك أقرب لانتشال الضحايا من رجال الأمن والدفاع المدني، عبر سيليفاتهم الفجة، صورة واحدة في كروب كفيلة بإنقاذ عشرة ضحايا!

ما كان يجدر برجال الإطفاء رشُّ محيط الانفجار بالمياه، كان الأجدر بهم توجيهُ خراطيم المياه على الناجين، على الحاضرين، على رجال "السليفيات" فهم أحوج بإطفاء رغباتهم النفسية، وإخماد شهواتهم العقلية بكابح المياه؛ من أجل الحَدِّ من حجم الدمار الأخلاقي لهذه الأمة!

لقد تناولت وسائل الإعلام كذبة أنَّ سيارات الدفاع المدني كانت غير مجهزة، وغير كافية لحمل المياه لإطفاء حرائق روما الجديدة، لا تنسوا أنَّ الخراطيم في رمضان، وسيارات الإنقاذ صائمة عن تعاطي الماء!

أبدًا؛ لا تصدقوا ما تنقله وسائل الإعلام، الإعلام أكبر كذبة نُصدِّقُها، الأجدر بنا إلغاء مفهوم وسائل الإعلام ومصطلح السلطة الرابعة، وإطلاق عليها تسمية "مسيلمة الكذاب" المسموعة والمرئية والمكتوبة والمقروءة!

بعض الصُحف صفراء للسُّمِّ لا للقدامة.. وبعض الفضائيات مساجد ضرار وأشد قسوة، تصلح للهَدْمِ وإزالة معالمها، لإنقاذ البشرية من فتواها الفضائية!

أبدًا لا تصدقوا كَذِبَ الإعلام وتلفيقاته المُفبركة، فإخماد الحرائق والانفجارات والعنف والنيران لا يحتاج إلى مياه عذبة لإخمادها، إننا بحاجة ماسَّةٍ لماء حياء نحفظ به ما تبقى من كرامتنا، وما نجا من

حوادث السير في شوارع الجُثث الهامدة والطُّرقات المُعبَّدة بدماء ذوينا ودموع أمهاتنا الثكالى!

صورة سيلفي مع جُثة، تكفي أيُّها المصورون، إنكم تبحثون في قمامة وتعتقدون أنكم في منجم ذهبٍ، وكأنَّ الموتى في مشهد كوميدي ساخر! أو كاميرا خفية!

فعلًا؛ الكاميرات خفية، والدليل ذلك المُلثَّم صاحب الشابو الذي ما زال يتردّد على ذلك المكان بوقاحة، بحثًا عن عظمة كلبٍ سائغة، المُجرم مُدمن دمٍ، لا تُطفئ نزواته بُحيرةُ عويل!

في وطني منجم جُثث متفحة، تصلح لتمْويل محارق نيرون ونينوى وهولوكوست فلسطين ويفيض منها، وقادرة على مَدِّ المطاعم الفاخرة بأفخر أنواع الفحم البشري، وطني منجم للنفط، منجم للثروات المعدنية، ومنجم للجُثث، أنصح رجال الآثار والاستكشاف، والشركات العالمية بالتنقيب عن كرامتنا من أجل الإنسانية!

أوطاننا مترامية، مترابطة تُشبهُ موقفًا لبراميل قُمامة، نُقيم به شعوبًا بصفة أوبئة، فيما يطالبوننا بدفع الإيجار، لكنَّاس العاصمة!

متى ندرك نحن العرب، بأنَّ أوساخنا في عقولنا، وليس في شوارعنا؟!

في كُل شارع وضيعة ودربونة مأتم، ونائحة وجادر عزاء، بغداد مدينة منكوبة بأهلها!

بغداد يصلح إدراجها ضمن الآثار العالمية بعد الخراب الذي نالتهُ من أبنائها المعاقين!

أطالب بتحويل مجمع الليث إلى هيكل مُقدس، معبد للتلاوات، أنْ يتحول إلى معلم نضيفهُ إلى آثارنا وتراثنا حتى تدرك الأجيال ما فعلتهُ بنا الفتوى وجنودُها الهاربون من معركة الحياة، شروى نقير!

لنحتفل هذه الليلة بدون سيليفات، لنردَّ الاعتبار لثكلانا، لنُخفف من عبء الفاجعة، لنُواسي أمًّا أو أختًا، لنمسح الدمع من مُحياها، نحن مطالبون بنَشْرِ السَّكينَة بالمواساة والتهدئة والصبر، لا بنشر الصور على الفيس بوك!

***

لماذا أصبحت مجالس عزائنا غُرفًا للدردشة، وقراءات الفاتحة منشورًا مُنمَّقًا، وتقديم التعازي بوسترات فجةً، متى ندرك حجم التقانةِ وقيمتها أو نُعطيها حقَّها على الأقل!

أيها العَرَب لقد أهنْتم الحداثة وشوّهتم صورة التقنية، من لا يُجيد استخدام التقنية عليه أنْ يعود للبرّية ليعوي بالوحدة وأكل الخشخاش والكلأ، فالإنترنيت خُلق للتواصُل الاجتماعي لا للتواصل الجنسي!

خُلق للتواصل الاجتماعيِّ، وليس للقطيعة والسَّبِّ والشتائم، فلو أحصيت دراسة مسحية عن أكثر الدول شتمًا وسبابًا لتفضل العالم لنا بني العرب بجائزة نوبل للّعنة!

عليكم اللعنة قدر ما استطعتُ!

***

مُخجلٌ ما تفعلون؛ السِّذج والجهابذة من شبيبتنا هُرعوا لانتشال الضحايا من موقع الحادثة ونقلهم إلى موقع التواصل الاجتماعي!

يا إلهي! لقد أصبح الفيس بوك ألبوم صور لضحايا مشوّهة من حجم الدمار، والإنستجرام براد جُثث، والسناب مقصلة لأعداد الموتى!

أيها الناس نَظِّفُوا عقولكم، قبل أنْ تنظفوا محيط مجمع الليث، فوساخة العقل هي من تسببت بتلويث المبنى، وهي من صنعت هذا الوباء، لعل رجال العاصمة وأمناءها لم يدركوا جيدًا أنَّ القاذورات في العقول وليس في الأرصفة، وجمالية بغداد تكمن في تنظيف شوارع العقل وليس شوارع العاصمة!

ليس ذنب المكنسة؛ وإنما ذنبنا نحن لم نشترِ مكانس عقلية تطرد تلك الأدران من محيط تفكيرنا، بغداد تتزف من يسعفها بضماد!

***

- مَنْ أنتم؟

- أبناء هذا الوطن الكبير بمعاناتهِ؛ ومَنْ أنتم إذن؟

- مثلكم في المعاناة!

- وماذا تعملون؟

- حفارو قبورٍ ودفانو جُثث!

- وأنتم ماذا تعملون؟

- نحن جُثث نتهيأ لتدفنونا!

- أهلا بكم، هل تبحثون عن قطعة ركن للمدفن؟

- بكم سعر القبر؟

- بألف دولار؛ والدفع مُسبقًا!

- سؤال أخير؟

- تفضَّل.

- ما هوايتُكم؟

- التصوير.

- أهذا تُحبون السيلفي؟! رفقًا بالجُثث وذويها!

(19)

مِحطَّاتُ وُقُودٍ للتَّزَوُّدِ بِالدَّمِ

ألا نتساءل بتجرُّد: مَنِ المُتسبِّب بخرابنا ودمارنا؟! لا أريد فتح صفحات المؤامرة، فهي شماعة كل الأطراف ضد الأطراف الأخرى.

- مَنْ ذا الذي يقتل الإنسان؟

- أحدهم: الحيوانات؟

- رَدَّ بصخبٍ: لا تظلموا أنفسكم، الحيوانات أكبر من أنْ تنزل لهذا الحضيض؟

- إذن، مَنِ القاتِلُ إذن؟

- الحيوانات الناطقة؟

- هل نحن بحاجة لقانون مكافحة الحيوانات الناطقة؟

- أخشى من تمويل الغرب لتلك الحيوانات!

فمَنْ قَتَلَ أبناءنا هُمْ أباؤنا، نعم مَنْ قتلَ الإنسانية فينا هو الإنسان وليس الحيوان، وإنْ كان سلوكهُ حيوانيًّا فهو ما زال محسوبًا على قائمة الإنسان في آخر إحصاءٍ سُكانيٍّ!

لم يقتنْص حيوانٌ إنسانًا، أو يرميه في خاصرتهِ طَعْنًا بأسياف الإخوة، أو يُرديه في الخطأ نيرانًا صديقة، فلماذا إذن نتمسك بالإنسانية إذا كانت قاتلة؛ كالسِّم ومُمْيتة!

مَنْ يقتلُ هو الخاسر لكل شيءٍ، الفشل في دورة الحياة، الفاقد لبصيص الأمل؛ فهو لا يملك شيئًا حتى يخسره من تلك المغامرة الفاشلة، حتى الشَّرف لم يعد يعنيه شيئًا، هل تظنون أنَّ المومس تغتاظ على شرفها، أو يثأر الدم في وجهها!

مَنْ فجَّر مجمع الليث هو طالعٌ من خاصرتنا، من بيئتنا، نافذ إلينا من وخز عقيدتنا بطريقة مُعاقة، ما أكثر المعاقين في وطني! والعاهات والمسوخ البشرية، أنصحُ الحكومةَ بتأسيس مجمعات للمعاقين جنسيًّا، حتى نضمن عدم تلوث مراجلنا!

حتى نضمن عدم تشويه سُمعة النساء، فالعاهات تُسيء للرجولة، وتشوه سمعة الأنوثة، إلى متى نبقى نعيش حالة هذا الزواج المِثلي عقب كُل حادثة أو فاجعة؟

يقول صديقي في منشور له على شبكات التواصل الاجتماعي عقب تفجير ضريح السيد محمد (ع)؛ (لا تنسوا السيلفيات مع الإمام)، لا تنسوا نشر الصور، الوطن بحاجة لمشاغله، لنزهة وسياحة في شوارع الدم علها تُنفس بعض من ذائقتهِ أو تُحرر كَبْتَهُ ولو في مرحاض كارثة إنسانية!

هنيئًا لكم؛ استمتعوا كسُيَّاحِ نُزهةٍ تاريخية في شوارع الجُثث المكتظة بالألم، والمرصوفة بقير الدماء اليابسة؛ الوطن يُشجع على السياحة!

لماذا لم نكشف أو نُميط اللِّثام عن أية جريمة حتى اللحظة؟! ليس هناك تصريح عن ذلك التقاعس إلا سبب واحد هو أننا بعد كُل حادثة وفاجعة ومجزرة نُهرع لمكان الحادث نوغل البحث عن القمامة، فنتفرّغ للكشف عن العاهات ونتجاوز البحث عن الدلالات، لأننا أمة معاقة فكريًّا وجنسيًّا، لا يوجد هناك تابو في ممارسة الشبق المُحرم!

احمدوا الفياغرا صنعت لكم الانتصارات على صفحات التواصل الاجتماعي، وأنقذتكم من الهزيمة، وردّت بعض ماء الحياء للوجه، وإنْ كان آسنًا!

***

أيُّها الناس كُفُّوا عن التأبين والتعزية والمواساة لذوي ضحايا الكرادة، ووفروا بعضًا من وقتكم وتأبينكم وعزوا موت الضمير

فيكم، فأنتم أولى بالتعزية من غيركم، موت الأجساد قد يُبعثُ حينًا إنْ كان شهيدًا، وموت الضمير لن يُحييه نداءاتُنا المنتهكة!

لأننا نُشْتَهَرُ بالثروة والبترول أصبحت بغداد محطة للتزوُّد بوقود الدم المُحسن؟

لماذا نُقتل بدم بارد أمام وسائل الإعلام؛ ولا أحد يلتفت إلينا، أو كاميرا فائضة عن حاجة مصوري المأتم من لقطة عابرة أو غامرة؟

مَنِ المُتقصد في تجاهلنا؟ ولماذا يُمارس ساستنا ونوابنا مهنة التصوير بجدارة وفق سياقات "صوريني وأنا لا أدري"؟! هذا يسجد وذاك يركع وآخر يمسك المصحف مقلوبًا؟ وآخر يُزكي قبل التصويت الانتخابي؟ وذاك يتفقَّد الأيتام، وهذا يُرمم مسجدًا من مالٍ حرام، وآخر يسرق من بيت الدولة ليبنيَ بيتًا لله، وآخر يَسْتاك أسنانه بعظمة ميت، وآخر يستعمل القرآن من أجل إرعاب الناس!

لماذا أصبح الدين لُعبة؟ أيتها الفيفا الدينية، أعيدي النظر بالدوري العربي لكرة الدين! الدين عند العرب في ذيل التصنيف العالمي للالتزامات الروحية .. القيم فينا بحاجة إلى تصنيفٍ جديد!

فهو لا يصلح للتأهُّل للجنة، حتى جهنم تعتذر عن استقبالهم، إذ لا يوجد هناك مكانٌ شاغرٌ أو مُخصَّصٌ لمن أساء لله باسم الله!

***

صحيحٌ أننا نمتلك ثروة من البترول؛ لكننا لا نملك منهُ إلا الخِلافات السياسية، وطنٌ يُشعِلُ خشاش الأرض ليُنير طريقةُ أو ليدفئ رعشة جلدة من برد بغداد المخيف .. لماذا أصبحت بغداد محطات للتزُّود بوقود الدم وبأسعارٍ تنافُسية مدعومة .. ودمنا أغلى الأثمان!

مَنْ أهبط بورصتهُ؟ مَنْ تلاعبَ بعدَّاد القيم فينا؟ مَنْ جعل الكرادة محطة حية للتزوُّد بالدم سريع الاشتعال والذي خَلَّف هذا الحريق الهائل؟!

***

لماذا الانفجار هائل .. مروع .. مدوٍ .. ضخم؛ والأمنيات صغيرة!

***

بغداد تحترق؛ أنقذونا بعيدان ثِقاب لإطفاء نيرون العرب، أسعفونا بدمائكم الباردة يا عرب .. ليس هناك أبرد من دماء العرب المثلجة لإطفاء حرائقنا!

بغداد تُعانقُها النيران عِناق محرومين، جُثة تشابكها منجم فحامة، وأم لهب تُبارك المشهد وتسعر، وليس لدينا إلا السيلفيات للتعبير عما يسعنا تقديمه لها؛ الموت للأحياء .. والحياة للموتى الذين غادرونا فجأة، دون أنْ يتركوا لنا رسالة وداع أو منديلًا نؤمئُ لهم به!

(20)

حَفْلاتُ التَّأبينِ الصَّاخِبَةِ

يصعدُ المايسترو إلى المسرح يعتلي منصة الحفل مُرحِّبًا بالجمهور على طريقة الكبار، والجمهور يُبادِلُه الحفاوةَ ويُرّحب به بهُتافٍ وتصفيقٍ كبيرين.

هذه المرة لم يحضر ضابط الإيقاع، عوّض عنهُ الجستابو الإسلامي (ضابط الإرهاب)! ليعزف الموسيقى الجنائزية على طريقتهِ!

يُفضل الرجال - دومًا - لحضور أيِّ حفلٍ رسمي أو تكريم أو تتويج لبس البدّل السوداء أو القيافات الرسمية ذوات الأكمام السوداء، والعطور المُعتقة، السيجار الأدكن في الدخان، وهو عُرف مُتعارف عليه مع قمصان بيضاء وأحيانًا إلى جانبها شابوهات ملونة، سوداء دكناء على الأكثر!

ولأنَّ "الكرادة" اُختيرَتْ مكانًا مُقدسًا للتتويج؛ أُقيم حفل التأبين فيها، والدعوة ليست عامة، وإنما خاصة للشُّبان الوسيمين والأطفال

الزهور المُتفتحة، يُمنعُ دخول الحفل مَنْ لا يحمل تذكرة أو تأشيرة سفر إلى الجنة؛ الجنة تبدأ من بغداد!

الفارق بين حفلات السهرة وحفلات التأبين، أنَّ الرقص هنا بمهنية، إنَّ الرقص هنا نابعٌ عن إيمان مُطلق بقضية أخلاقية، لا أحد يجرؤ على التشكيك بشرف راقصة ليل، وهي تُرخص لحمها من أجل رضا الحاضرين؛ ما أجمل التضحية في الرقص!

هنيئًا لكم رقصتكم يا عرب، حَرِّموا الفن، وأبيحوا الرقص على طريقتكم الإسلاموية!

***

كُل ما ينقصنا لحضور حفلات التأبين والرّقص الشعبي والغناء الجنائزي الفولكلوري هو وسائل نقل تأخذنا لموقع الحفل؛ تاكسيات، باصات، شاحنات، وسيارات مفخخة لنقل الرُّكاب مثلًا!

***

الحضور لافتٌ ومُدهش، كأنهم على موعدٍ مُسبق، توافدوا كزوار لإحياء مراسيم الزيارة أو كمُعزّين في حفل تأبين، كان الموت بانتظارهم، والوداع بأكفٍّ حزينة، من الكاظمية، الأعظمية، الشُّعلة، الغزالية، العامرية، المشتل، البلديات، القاهرة، الدورة، البياع، الجادرية، اليرموك، المنصور، الزعفرانية، ناهيك عن المحافظات بابل،

صلاح الدين، ذي قار، التأميم، ديالى، السليمانية، لا توجد طائفية في الموت هنا، وهذا ما تبقى لنا من الوطنية!

لقد حَاولَ الشابو المُلثم عبر روبوت (السائق الانتحاري) أنْ يفتك باللُّحمة الوطنية، أنْ يُشتِّت وحدة الشعب، لكن القدر أقوى من شرور القتلة، لكن القدر كان دعوة للمِّ الشَّمل، حتى الموتى أكثر منا فهمًا للواقع!

يا ليتَ الطائفيين يموتون في وطني حتى يفقهوا قيمة الوحدة والوطن والتماسُك؛ الطائفية مقبرة الأوطان، ودعوة مجانية لهدر رساميلها.

كانوا أكثر تماسكًا، كلما تفاقم الكلور أو النابالم أو السيفور ازدادوا تماسكًا وتراصًّا، ليس خوفًا، وإنما من أجل الوحدة في الموت.

عُمر الذي لم يُعثر عليه في مُحيط الانفجار، وُجِدَ بعد أيام في محيط الطِّبِّ العدلي؛ مُلتحمًا بجُثة أخرى حَدَّ العِنَاق، وسرى هي مَنْ مَيَّزت جُثة عُمر المتفحمة من شِدَّة عزّف موسيقى القصف وإيغال الإبهام على زر التفخيخ أو أوتار الصوت القادم من مجهول.

"أم علي" تعرفت إلى جُثة علي المتفحمة هي الأخرى من خلال معرفة جُثة عمر، فهي تعرف أنَّ عليًّا لا يُفارق عُمر مُذ الصغر، وكم مرة فُقِدَا وعُثِرَا عليهما في أحد "عكود" الكاظمية والأعظمية، ولأنَّ قلب الأم دليل ابنها، وحدس الأم إنَّ العثور على عمر سيرشدها إلى

معرفة علي، لقد كانت العلامة الفارقة لجُثة علي هي عمر! فدليل علي، عمر، رغم كُل ما قيل من طائفية عن بلادي؛ فهي مدينة للسلام رغم فداحة العنف!

متى ندرك أنَّنا مواطنون ولسنا طائفيين، ونعمل على جعل الوطن أسمى من الطائفة، ونؤمن أنَّ الدين بدون إنسانية لا يعني دينًا، وأنَّ الإنسان بدون إنسان هو حيوانٌ ناطق أو إنسان مُنحدر من أصولٍ حيوانية!

الذين حاولوا أنْ يوقدا الفتنة من خلال ذلك المُجرم الانتحاري الذي حُشِيَ عقله ببارود الفتاوى العُنقودية والخُطب المسيلة للحياء والوعظ الجارحة للضمير، ليُفخخ عقله وتفكيره قبل أنْ يُفخخ جسدهُ المُبتل بالخيبة! ما كان له إلا أنْ يُردَّ إلى الأعقاب مُثقلًا بقَيْحِ الهزيمة.

فالقاتل يقتل نفسَه قبل قتل الآخرين، فهو مُتسبِّبٌ رئيس في خنق ضميره واعتقال عقله واغتيال تاريخه وغسل شرفه بالعار، وبارع في التمثيل بجثة الإنسانية، مترَوع من دسم حليب الكرامة، لا يقتل الإنسان إلا مَنْ لا شرَفَ له!

- ما على الحكومة إلا أنْ تُوفِّر للضحايا أكفانًا بيضاء .. وترفد الأمهات الثكالى بأثواب الحداد! أو على الأقل أنْ تُوفِّر لنا خدمة الإنترنت كافية لنصور بها سيلفيات مع الجُثث .. ونمسح دموع الأمهات الثكالى بـــ "الماوس"!

أيها الساسة والنواب سُدُّوا النَّقص الحاصل في أكفان ضحايانا، وعززوا التوابيت، ولا تنسوا إغاثتنا بفوطٍ سوداء أو مناديل مُعطرة! وطن يصلح للموت أكثر!

- صاحب الشابوه الديني؛ يختفي فجأة، أو كالعادة؛ فهو كأجراس كنيسة، يتمايل؛ كالظل، يظهر؛ كالوميض، ويختفي؛ كإبهام الجريمة،

ما زال الشابو يتجوّل ويتحرك بارتياح شديد، ويتنقل بين المُدن بانسيابية، لا يوقفه عارض، أو تسألهُ نقطة تفتيش بسؤالها المُعتاد والروتيني (من أين جئت .. وإلى أين ذاهب)، يحمل ألف هوية وهو ما زال مجهول الهوية!

لا أحد يعرف مَنْ هو، ومَنْ يكون، وما اسمه، وما عنوانه؛ حتى هو يجهل مَنْ يكون في بعض الأحيان .. شخص بألف اسمٍ وهوية!

حمل حقيبتهُ الشخصية الصغيرة على الظهر، وأسجر سيجارتهُ بعود ثقابٍ فائض من خريف الثورات، دخنها بضراوة، شهق عبقها برئاتٍ جبلية، امتطى صهوة حذائه، ومَرَّ من موقع الجريمة، دون أنْ يلتفت قلبهُ ووجدانه للأشلاء والضحايا المتناثرة، كأنَّ الأمر لا يعنيه شيئًا، ومضى ينهب المسافات وسط الظلام والزّحام، لم تعد العين المُجردة ترى منهُ شيئًا إلا ظلًّا خافتًا، كجدار مركون على ظهر مبنى قديم!

هناك سَمِعَ دويَّ إطلاق عيارات نارية مجهولة وعشوائية؛ لا أحد يعلم مصدرها، فيما لم يتناول أحد خبر إنْ كانت قصد ذلك المجهول أم كانت ألعابًا نارية!

كثيرًا ما تُصيب العيارات العشوائية الهدف بدقة، وقليلًا ما تُخطئ النيرانُ الصديقة!

ننتظر في الغد الخبر العاجل في الصُّحف البغدادية يروي تفاصيل ما جرى .. لعله يصلح عنوانًا رئيسًا .. أو لا يخطر ببال أحد!

***

أيُّها الناس وَفِّروا قليلًا من ذاكرة هواتفكم النَّقالة لصور سيلفياتٍ جديدة، كونوا سباقين لموقع الجريمة، اتركوا الجُثث يسعفها الموت، وأنتم ما عليكم إلا إسعاف شبكة التواصل الاجتماعي بصور حيةٍ عن موتى!

لا تنسوا سيلفيات أخرى مع جرائم جديدة؛ فالرّجال بسيلفياتها لا بأقوالها!

الشرف في أزمة، والملهى يتبنى حملة جمع التبرّعات!

يا هيجل أسعفنا بفلسفةٍ جديدة للأخلاق، أو أدعو صديق شوبنهاور للحديث عن حكمة تقي العرب شَرَّ فضيحتهم؛ لا تنسونا بالدعاء لنا لا علينا!

من يدري أنْ يكون صاحب الشابو "رجل سيلفي" مُرتبطًا بشبكات مجارٍ تجسسية أو شبكات تواصل اجتماعي تعمل لأجندات خارجية!

أمةٌ نصفها موتى، ونصفها الآخر في طريقها إلى الموت؛ تعذَّر وصولها لازدحامات في السير وتقاعُس رجال المرور، فلماذا اسمك وطن، وأنتَ مسلخ جُثث؛ صاحب الشابو المُلثم يُريد تغيير اسمك؛ إلى جمهورية للموت، أو جمعية للرأف بالإنسان!

***

فبعد كُل فاجعة ومجزرة وحدثٍ مُروِّع تُهرع سيارات التصوير بدون كوابح إلى موقع الانفجار، قبل سيارات الإسعاف وشاحنات الإطفاء، هذا دليل على أنَّ الأمة بحاجة إلى سيلفي وليس إلى نجدة!

نحن بحاجة للنجدة لا للتصوير، لرّتق الفضيحة لا للتشويه والتعرية والبث .. بعض الكاميرات خراطيم زيت حارق وسريع الاشتعال على حطب الجُثث وليس خرطوم ماء!

- لا تنسوا السيلفيات (!) أدعو الله وأنتم موقنون بالصور الجميلة!

***

ببالغ الحُزن والأسى شيعنا وطنًا ووارينا جثمانهُ في مقبرة جماعية تحديًا لكل الطوائف؛ فعلى أبطال السيلفي الحضور بكاميراتهم الشخصية وهم موقنون بالتصوير.. ونستقبل بطاقات التعازي في قاعة المناسبات الدينية في مسجد ضرار!

هيجل وشوبنهاور يعتذران من تعزيتنا؛ فهما منشغلان بالإعداد لإرسال فريق بعثة استكشاف أوروبي للتنقيب في عقولنا بحثًا عن رُفات الضمير العربي الميت أو الفردوس الضائع في فتاوى الجستابوات الدينية!